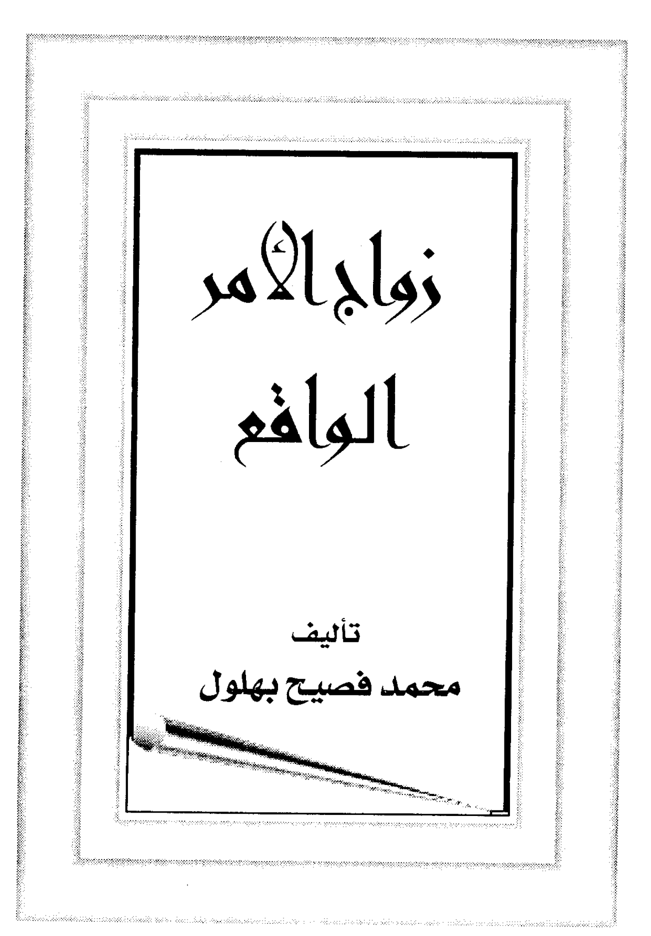

زواج الأمر
الواقع
تأليف
محمد فصيح بهلول


بسم الرحمن الرحيم

# زواج الأمر الواقع

1419 هـ ـ 1999 م

* الكتـــــاب : **زواج الأمر الواقع .**

* الكـــاتـــب : **محمد فصيح بهلول**

* الطبـــعـــة : **الأولى** 1999 .

* الناشــــــر : **دار البشير للثقافة والعلوم ـ طنطا**

* التــــوزيع : **دار البشير للثقافة والعلوم ـ طنطا**

**تليفاكس:** 305538 ـ 321744 / 040

**أصالة للتجارة والتسويق ـ الزقازيق**

**تليفاكس:** 353988 ـ 348654 / 055

* التجهيز الفني : **الندى للتجهيزات الفنية المحلة الكبرى** ☎ 228277

* الإيداع القانوني : 98/14236

* الترقيم الدولي : I.S.B.N. 977/278/094/1

بسم الله الرحمن الرحيم

## • التقديم •

الحمد لله . . والصلاة والسلام على رسول الله . . صاحب الخلق الرفيع ، وعلى آله وأصحابه الكرام البررة . . . . وبعد .

فكرت طويلاً قبل إخراج هذا الكتاب لأنه لم يكن مصمماً على أن يكون كتاباً ، بل كانت سلسلة مقالات قمت بنشرها تباعاً بجريدة « الناس » على مدى ثلاثة وعشرين شهراً ، ولم يجل بخاطرى وقتئذ أن هذا الموضوع يمكن أن يستمر هذه المدة الطويلة ويستغرق هذا العدد من الحلقات ، فمن أين المادة الفكرية لمواصلة النشر سنوات فى موضوع واحد . كنت قبل ذلك أنشر بعمودى الخاص بالجريدة موضوعاً جديداً كل عدد ، ويوم بدأت هذا الموضوع كنت أتصور أن أنهيه فى ثلاثة أعداد على الأكثر ولا أزيد عليها كى أنتقل بعدها لموضوع آخر ، إلا أن الموضوع على ما يبدو وجد استجابة لدى القراء فكان كل من يطالبنى بالاستمرار فى النشر يشعرنى بأنى صرت أحمل رسالة لكل بيت وكل أسرة وهكذا ظللت أكتب كل ما يعنّ لى من آراء وأفكار فى نفس الموضوع حتى بلغت هذا العدد من الحلقات ، لولا أننى قسرت نفسى قسراً على التوقف للإنتقال إلى موضوع آخر .

أما لماذا ترددت وفكرت طويلاً قبل إخراجها فى كتاب مستقل فإننى أعرف أن أسلوب الكتابة الصحفية يختلف عن أسلوب الكتابة الأدبية ، فضلاً عن أنها صدرت فى سلسلة على مدى سنوات كنت أضطر معها ـ أحياناً ـ لتكرار فكرة معينة فى أكثر من موضع فى مقالات متفرقة لخدمة القارىء فى الاستمرار ومتابعة خط الموضوع .

وحين هدانى الله ـ سبحانه ـ إلى ترجيح كفة إخراجها فى كتاب راعيت أن أحذف ـ ما استطعت ـ أى تكرار يقابلنى كى أنشرها بنفس ترتيبها وأرقامها ، بعد إدخال التعديلات اللازمة عليها ، حيث يصعب اختصار الموضوع أو اقتطاع شىء منه ، وفضلاً عن ذلك رأيت أن أضيف فصلاً جديداً فى آخر الكتاب ضمنت بعض الآراء والأفكار التى لم أنشرها فى سلسلة المقالات وكانت تأتينى بعد صدور العدد وانتقالى إلى موضع آخر من الموضوع .

والجدير بالإشارة إليه هنا أننى كنت قد وضعت كتاباً باسم « المأذون ومشكلات الزوجين قبل الزفاف » صدر عن **دار البشير** من عشر سنوات ، أدرجت فيه هذا الموضوع كمشكلة بنفس الاسم ( **زواج الأمر الواقع** ) ضمن مشكلات الكتاب الأربع عشرة لكن بشكل آخر .

أما كتابنا اليوم ، فبعد أن أضفت إليه الفصل الأخير فكرت فى إضافة فصل آخر يشمل عدداً من القصص الواقعية سمعنا فصولها من شباب وشابات تزوجوا بهذه الطريقة وعاشوا التجربة بحلوها ومرها ، فلعلها تفيد أناساً آخرين ينوون السير على نفس الطريق وخوض نفس التجربة فالقصة الواقعية أبلغ فى تأثيرها وأسرع فى الوصول إلى العقل من النصائح المجردة لكن سرد القصص يحتاج لجهد ووقت مضاعف لإدخال تغييرات وتبديلات كثيرة ومتنوعة عليها وعلى أبطالها كى يصعب التعرف عليهم ، ولهذا أجّلنا هذه الإضافة وإن لم نستبعدها ـ فقد نتمكن من إلحاقها بطبعة جديدة من هذا الكتاب الذى أرجو أن يصادف من يفيد منه .

**والله تعالى الموفق**

**المؤلف**

## (1) أين المشكلة ؟

ازدادت فى السنوات الأخيرة ظاهرة خطيرة مؤثرة على مجتمعنا بشكل لافت للأنظار ويدعو بقوة لوضع هذه الظاهرة موضع الدراسة الجادة من علماء الدين وعلماء النفس وعلماء الاجتماع تلك هى ظاهرة زواج كثير من الشبان والفتيات ضد رغبة أهلهم وبغير موافقتهم متبعين فى ذلك سياسة فرض الأمر الواقع أملاً فى تحقيق تلك الأحلام التى بنوها والحصول على اعتراف الأهل والمجتمع حولهم ضاربين عرض الحائط بكافة أسباب الرفض وكافة الظروف والملابسات المحيطة بهذا الزواج بل ودون حساب للنتائج المترتبة على هذه الخطوة ويعجز المرء دائماً فى ربط هذه الحالات معاً بخط واحد ذلك أن اختلاف ظروف كل حالة عن الأخرى بشكل واضح يؤثر فى نتائج أى بحث محدود بهذه الحدود فقط فليس دائماً كما يتصور الناس أن الأهل على حق دائماً والشاب والفتاة على خطأ دائماً .

هذه النظرة تؤكد لنا أنها نظرة خاطئة بل وظالمة أيضاً ويجب ألا توضع فيها أحكام مسبقة حتى يمكن تناولها برؤية موضوعية ومعالجة تتصف بالاتزان والعدالة ، وحين أرى أمامى إحدى حالات هذا الزواج والذى أطلق عليه اسم ( **زواج الأمر الواقع** )

فإننى أبدأ أولاً ببحث أوجه الخطأ والصواب فى الموضوع ككل ومَن المخطىء ومن المصيب وأحياناً أجد الأهل على حق تماماً فى موقفهم وأن الشاب والفتاة ليسا كذلك وفى أحيان أخرى أجد العكس وفى أحيان ثالثة يكون الطرفان على غير حق فى كل مواقفهما إنها قضية ليست سهلة أبداً فهى مليئة بالتحديات والمشكلات وأحياناً تنتهى سلمياً وأحياناً أخرى تنتهى بالفضائح والنهايات المأساوية التى كان من الممكن تجنبها لو أحسن البعض أسلوب معالجة الموضوع فما هو السبب فى تفشى هذه الظاهرة فى مجتمعنا ؟ وكيف يمكن الحد من انتشارها ؟ وما هو المطلوب من كل طرف من الأطراف حتى لا نصل إلى هذه النتيجة ونحطم بأيدينا قيماً عزيزة وخالدة فى أصولنا وجذورنا مبتعدين عن الشبهات التى تغضب الله ورسوله .



## (2) الأسباب

طرحت على مائدة البحث هذا النوع من الزواج أملاً فى تعاون الجميع لإعادة هذه الظاهرة إلى حجمها الصحيح ولنأخذ أولاً بشرح الجوانب الهامة لأسباب تفشى هذه الظاهرة وهى كثيرة لكن يمكن أن نوجز أهمها فى الآتى :

**أولاً** : انعدام الثقة بين بعض الآباء وأبنائهم وهو مؤشر يدل دلالة واضحة على أنه لا يزال هناك عجزاً فى طريقة وأسلوب التفاهم بين الأجيال أو على الأقل بين الجيل الحالى والجيل الذى يسبقه باعتبار أن هذه الظاهرة لم تكن معروفة تقريباً فى الأجيال السابقة أو نستطيع القول أنها كانت محدودة ونادرة إلى أبعد الحدود .

**ثانياً** : تغلغل الوعى التليفزيونى فى كل البيوت على كل المستويات وكافة الطبقات حتى أصبحت أمراً عادياً وسلوكاً غير مستهجن شأنه شأن مفاهيم كثيرة تغيرت مع دخول هذا الجهاز إلى حياتنا .

**ثالثاً** : انتشار التعليم وخروج الفتيات فى سن مبكرة للدراسة ثم العمل الوظيفى بما يستتبعه من اختلاط بين الجنسين بهذا الاتساع المتزايد والانتشار المتعاظم يوماً بعد يوم دون وضع الضوابط الكفيلة بتفادى هذه الظاهرة .

**رابعاً** : تأتى هذه الظاهرة فى جانب كبير منها كنتيجة حتمية لعصر الماديات التى تتعارض مع التقاليد الموروثة جيلاً عن جيل ونتيجة لاعتقاد الكثيرين أن قيمة المرء تنبع مما يحققه من كسب مادى ، وقع الخلل فى شكل الهرم الاجتماعى فصار هناك شاب ( أو فتاة ) يكسب أضعاف ما يكسبه رأس العائلة فتسللت الاستهانة بالكبير وتهاوت قيم أخرى .

وبعد أن كانت هناك مركزية فى حكم أغلب العائلات وكان الخضوع لهذا الحكم لا يقبل المناقشة فى كل الظروف انقلبت الأوضاع وصار كل فرد فى العائلة وحدة مستقلة بذاتها فكرياً واقتصادياً وصار لكل شاب أو فتاة فى العائلة رأيه الخاص وقراراته الخاصة به .

**خامساً** : إن لجوء الشباب إلى زواج الأمر الواقع كحل ثورى لتغيير الوضع المتجمد يعد إفرازاً طبيعياً تماماً لحالة القلق التى يعيشها الشباب بأجمعه نتيجة صعوبة الحياة ومواكبة احتياجاتها المتزايدة مع كل ما يجد وما يستجد من تطلعات لا تنتهى .

**سادساً** : غياب التوجيه والإرشاد الذى يحصن الأبناء من الوقوع فى أى أخطاء تحسب عليهم فى المستقبل وذلك بسبب غياب الأم للوظيفة أو سفر الأب أو الأم أو هما معاً للخارج بحثاً عن توفير احتياجات الأسرة والأبناء ثم يتحول السفر إلى رغبة

عارمة فى الشراء والكسب المادى دون وضع الأبناء ومستقبلهم وأخلاقياتهم فى الاعتبار .

هذه فى رأينا أهم الأسباب .



## (3) الفعل ورد الفعل

لا يأتى أى تصرف للإنسان من فراغ بل دائماً يرتد كل سلوك وكل تصرف إلى جذور راسخة فيه وإلى خبرات متأصلة داخله فتأتى التصرفات العفوية عند الانفعال بالحدث خير دليل على صحة هذه المقولة ولا يظهر هذا جلياً إلا فى وقت الأزمات حيث لا تكون الرؤية واضحة بسبب الغبار الناتج عن كثرة الحركة والتسلسل السريع للأحداث والانتقال بسرعة من خطأ إلى خطأ بدلاً من التروى ومعالجة التصدعات بأسلوب متعقل يصل بنا إلى نتيجة منطقية ومقبولة من كل الأطراف وحين أواجه بشاب وفتاة يطلبان هذا النوع من الزواج ( **زواج الأمر الواقع** ) تأخذنى الدهشة والمفاجأة فى البداية فأمتنع عن التعليق انتظاراً لتوضيح أكثر منهما أو تفسير لهذا الطلب، وكثيراً ما تعقد المشكلة لأنها فى كل الأحوال تعد من الوجهة الأخلاقية استفزازاً صارخاً لهيبة الكبار وتحدياً خطيراً لاعتباريتهم بل تعد امتحاناً صعباً لقدرتهم على تربية أولادهم وبناتهم وتدبير شئونهم ومعالجة أمورهم ، لكن نظراً لعدم وجود جميع الأطراف أمامى أجد من الصعب إقناع الشاب والفتاة بأى طريقة للمعالجة حيث تنتابهما حالة من اللامبالاة بعد أخذ قرار الزواج بغير موافقة الأهل ، فلم يعد أحد منهما يلوى على شىء أو يكترث لما يحيط به من مخاطر لكن

الشيء الذى يستحق التوقف عنده هو أنهما يجدان الحجة القوية التى تقنعنى بصحة هذه الخطوة منهما ويجدر بنا طرح وجهات نظر جميع الأطراف قبل أن نشرع فى تناول المداخل الرئيسية لحل هذه المشكلة إذا ما واجهت أى أسرة .



## ( 4 ) دور الأب

وكما ذكرت من أن هذه الخطوة تعد استفزازاً لهيبة الآباء وتحدياً لطريقة تربية الأبناء فإنها فى نفس الوقت تضع الشباب فى موقف بالغ السوء لايدركون نتائجه إلا متأخراً جداً فأرجو أن يتسع لى صدر الجميع لكلمتين : الأولى : أتوجه بها للآباء ، والثانية : للأبناء .

وأبدأ بكلمة الآباء بالطبع لا يتسرب الشك لأى إنسان أنه يوجد فى الدنيا آباء يكرهون الخير لأبنائهم هذه بديهية لا نختلف عليها لكن الطريق إلى التعاسة كثيراً ما يأتى محفوفاً بالنيات الحسنة والآباء من وجهة نظرى ينقسمون إلى أربعة أنواع :

1 ـ أب سلبى ضعيف الإرادة .

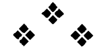
2 ـ أب ديمقراطى يسمح لأولاده بمناقشة كل ما يعن لهم من أمور .

3 ـ أب حازم يستعمل الشدة والحزم بشكل إيجابى فى تربية أولاده .

4 ـ أب متجبر لا يعرف إلا أسلوب البطش والقهر فى التربية

النوعان الأول والأخير موجودان بكثرة فى المجتمع وهما

يتصفان بضعف الشخصية وهذه النماذج ينتج عنها هذا النوع من الزواج فالأب ضعيف الشخصية الملىء بمركبات النقص مشكلة بكل المقاييس مشكلة لنفسه أولاً ومشكلة لأولاده فيما بعد ،نعم لايبدو هذا واضحاً فى الفترة الأولى حين يكون الأبناء فى مرحلة الطفولة لكن بعد أن يكبر هؤلاء الأطفال ويصبحون فى مرحلة المراهقة والشباب فإن مشكلاتهم تحتاج لوقوف الأب بجانبهم لكنهم يفتقدون فيه هذه المعونة إما بسبب سلبيته وضعف إرادته أو بسبب جبروته وتسلطه وضعف شخصيته ففى كلتا الحالتين يكون الأب مطروحاً من حسابات أولاده فالأب السلبى يترك قيادة الأسرة للأم التى تستخدم التعسف فى مثل هذه الحالات بطبعها ضعيفة ، أما الأب المتسلط العنيف فكبرياؤه أهم عنده من مصالح أولاده .



## (5) المعالجة الخطأ

إذاً فالتربية الضاغطة لن تعطى مجالاً للنقاش وستحرم الجميع من الوصول حتى إلى الحد الأدنى من التفاهم .

إن العنف يولد التطرف فى رد الفعل ، والأب العاقل حقاً هو الذى يعرف كيف يكون ديمقراطياً فى بيته تلك الديمقراطية الإيجابية التى ليست عن ضعف أو سلبية ، وحين يفاجأ الأب بشاب يطلب يد ابنته ويتضح له أن بينهما عاطفة نقية وقوية لكنه ليس كفؤاً للزواج منها لا نعدام الإمكانات أو للفارق الاجتماعى أو الثقافى بينهما فإن أمامه أحد خيارين إما أسلوب العنف أو أسلوب الإقناع هذا إن كان أهلاً للاختيار ، أما إذا كان ديكتاتوراً فى بيته فليس أمامه بالطبع مجال للاختيار وسيأخذ من تلقاء نفسه طريق الثورة والغضب وربما قام بطرد هذا الشاب من بيته شر طردة كما سيستعمل نفس الأسلوب مع ابنته لقهرها وإجبارها على الإنصياع له متصلباً فى رأيه متزمتاً فى قراره مهما كانت آراء الآخرين متجاهلاً تماماً ذاتية الفتاة أو الاعتداد برأيها أو عواطفها أو أحلامها التى تعيش داخلها ، أبعد هذا له الحق فى الإندهاش من أن ابنته وهذا الشاب أعلنا الحرب عليه باللجوء لقسم الشرطة وعقد قرانهما به آخذين على الأب تعهداً رسمياً بعدم التعرض لهما بأى إيذاء ؟ أحب أن أقول لهذا الأب : أنه مهما كانت نظرته

لعدم صلاحية هذا الزواج نظرة سليمة ومهما كانت أسبابه التى يرتكز هو عليها أسباباً موضوعية ومنطقية فلابد من إقناع ابنته وهذا الشاب بعدالة ومنهجية رؤيته فى هذا الصدد ، إن كل فتاة يداعب خيالها حلم ارتداء ثوب الفرح الأبيض الملائكى فى حفل بهيج يضم كل الناس مع الأهل والأقارب والجيران فما الذى يدعوها للتضحية بهذا الحلم الجميل واستبدال ذلك كله بعقد قرانها سراً فى أضيق الحدود وإخفاء وثيقة زواجها عن أهلها حتى يأتى الوقت المناسب ، أليس من الأوفق أن نبحث هذه الأسباب بالترتيب ؟ .



## (6) التمادى فى الخطأ

وتتحدد الأسباب التى تجعل الفتاة تعمد إلى اتخاذ هذه الخطوة دون وجل فى الآتى :

**أولاً** : أن رفض أسرتها للشاب الذى تقدم لطلب يدها يأتى غالباً بدون شرح مبررات الرفض لها وإعطائها الفرصة للنقاش معهم فى هذه المبررات وتفنيد الآراء وقرع الحجة بالحجة فيجىء الرفض جامداً مما يقنعها بمشروعية التضحية بأسرتها من أجله .

**ثانياً** : يبدأ كل كبير وصغير فى الأسرة بتهديدها بأنه سيفعل كذا وكذا ولا يتوقف هذا السيل من التهديدات إلا بعد أن تخضع فى حين أنها تخدع وتتظاهر بالنسيان بعد أن أكدت لها كل هذه التوعدات أن الأمل مقطوع تماماً فى الطرق السلمية .

**ثالثاً** : أنها لا تجد من أسرتها من يناصر رأيها فالكل يناوئها ولا يذكرون هذا الشاب إلا بكل سوء ولا ينعتونه سوى بأنه متسكع أو عاطل أو ما إلى ذلك فلا يعد لديها شك فى أنه مرفوض إلى آخر حدود الرفض وطبعاً كل ممنوع مرغوب .

**رابعاً** : عدم تقديرهم لعواطفها ومثالياتها أوجد لديها ميولاً عدوانية وانتقامية دون أن تدرى أنها تنتقم من نفسها ذلك على الرغم من أنها تدرك أن الزواج ليس حاجة ملحة لها فى هذا الوقت .

**خامساً** : أن الشد والجذب وتكتل الآراء ضد فتاها يجعل منه بطلاً أسطورياً فى نظرها تزداد انبهاراً به وإعجاباً بصموده أمام طغيان أهلها فى وقت ربما هو فيه لا يستحق شيئاً من هذه الهالة الكاذبة التى وضعته هى فيها بالوهم لا أكثر .

**سادساً** : يصل بأهلها الشطط فى التصرف فى هذه الأزمة إلى خطأ أكثر فداحة بل يعجل بالنهاية ، وذلك بأنهم يسارعون إلى البحث عن أى عريس مناسب للفتاة لتزويجها ، وقد تجلس معه وتعلن رفضها التام له لكنهم لا يأبهون لرأيها ولا يلتفتون للمعانى الواضحة فيه فيتعاملون معها كأنها كم مهمل من الحسابات متناسين أنها صاحبة حق أصيل وأساسى فى الموضوع مكتفين بأن سنها الصغير يعطيهم الحق فى أن يقرروا ويختاروا لها ما يشاءون ، والعجيب أنه فى الوقت الذى لا يعتبرونها فيه أهل للقرار يعتبرونها أهل للزواج رغم أنهم يعلمون تماماً أن تزويجها باطل مالم تأذن لهم بذلك .

وبناء على كل هذه الأسباب مع تصاعد الأحداث تقابل الفتاة فتاها فى الخفاء وتنهى إلى علمه كل هذه الملابسات ويصلا معاً إلى اتخاذ القرار بالزواج ضد إرادة الأسرة أو فى قسم الشرطة .



## (7) نصيحة للآباء

يسألنى رجل فاضل عما يفعله وقد فوجىء بشاب لا يملك أى قدر من الإمكانات للزواج يتقدم طالباً يد ابنته وهى متمسكة به غاية التمسك ويخشى الأب خروج الأمر من يديه قلت له :

**أولاً** : مادمت لم تجد فيه ما يمنع من الزواج غير الأمور المادية فلا تتسرع بالرفض .

**ثانياً** : طمئنه أنك موافق من حيث المبدأ على شخصه ثم اشكره بإخلاص على أنه دخل البيت من الباب رسمياً .

**ثالثاً** : اشرح له أن ظروفه المالية لا تسمح له حالياًبأن يبدأ الزواج .

**رابعاً** : قل له إنك منتظر منه أن يثبت جدارته وأحقيته بالزواج منها ، لكن الأمر ليس مستحيلاً بأن يلتحق بأى عمل شريف يساعده على تكاليف الزواج وأنه إذا قطع شوطاً يستحق الذكر فإنك ستعلن خطبتها له رسمياً شريطة أن تكون علاقته بالبنت أثناء ذلك داخل دائرة الضوء فلا مقابلات فى الخفاء أو شىء يشوه صورتها أو يسىء لسمعتها .

**خامساً** : تعهد له بأنك لن تزوجها لآخر طالما هو ملتزم بالجدول الزمنى الذى تتفقا عليه ليجهز نفسه .

**سادساً** : من الأصوب أن يكون ذلك كله فى حضور ابنتك حتى تكون شاهدة بنفسها ما التزمتما به وتأكد أنها بهذا ستكون هى المتابعة نيابة عنكم تنفيذ البرنامج وحث عريسها على بذل الهمة .

**سابعاً** : لا تنس وأنت تودعه بالباب أن تشد على يده وتبثه ثقتك فيه وفى احترامه لوعده .

**ثامناً** : تأكد أنك بهذا ستكسب الجولة الأولى بنسبة مئة فى المائة وأنت واقف على أرض صلبة تماماً كما أنك تكون بذلك قد قمت بعملية فرز صحيحة لأن الأيام ستظهر لابنتك ما إذا كان هذا الشاب جاداً فى الزواج أم أنه عابث .

**تاسعاً** : بدلاً من أن توجه الفتاة مجهودها العدوانى تجاهكم فإنها ستستخدم هذا المجهود فى حث الشاب على الوفاء بوعده ، ذلك بالطبع بعد أن تتأكد من صدق نواياكم .

**عاشراً** : لا تفكر فى النكوص فى عهدك مهما كانت الخسارة تغرى بذلك بهذا ستكسب ابنتك وتكسب الشاب ـ متى كان جاداً ـ واعلم أنه من الأوفق أن تزوجها ممن ترغب هى فيه مادام قد التزم وكان أهلاً للمسئولية .



## ( 8 ) المصداقية

يقول السائل : ماذا لو استعان الأب بكل الإرشادات السلمية التى أشرنا إليها فى الفصل السابق ورغم هذا خدعه الشاب وهرب مع الفتاة ليتزوجها ضد رغبة أسرتها ؟

قلت له : إن هناك عدة احتمالات ، نأخذ منها على سبيل المثال ، أنه قد يكون غير جاد بالفعل فى الزواج وجعل زواجه منها خطوة مؤقتة أو تسلية لا يتكلف فيها الكثير ، أو أنه طامع فيها ، وهنا يكون الزواج نوعاً من النفعية والاستغلال ، أو أنه من النوع الخامل الذى يأبى الإلتحاق بعمل أو اليأس من انتظار سنوات طويلة حتى يكون جاهزاً للزواج وهداه تفكيره بهذا إلى أنه من الأسهل عليه التغرير بعقل الفتاة وتحريضها على الإسراع بالزواج بدون رضا الأهل .

هذا من جانبه أما من جانبكم فقد يكون من الأمور الواردة جداً أنك عجزت عن إقناعه بصدق نواياك ، أو أنك فعلاً لم تكن صادقاً أو مخلصاً تماماً فى وعدك له فأحس بافتقاد المصداقية وأنكم فقط تكسبون الوقت حتى تلوح أول فرصة زواج لها أفضل فتقبلوا بالآخر وتضعوا هذا فى دائرة النسيان ، ولا يجب أن نغفل أنه يملك جهازاً للتنصت بينكم وهو الفتاة نفسها التى

تنقل إليه بمنتهى الدقة نبض البيت وآراء الجميع بل أى زفرة ضيق من الأب أو نظرة عتاب من الأم أو أى شعور بالامتعاض من الإخوة تفصح عن عدم الرضا به زوجاً لها .

هنا تنقل له هى كل هذا وتتم ترجمته فوراً بميلاد القرار والشروع فى تنفيذه ، فإن فاتك أن تقنعه إقناعاً لا لبس فيه بالموافقة والجدية فى الوعد فلا يفوتك أن تفعل ذلك مع ابنتك بطريقة ودودة وهى بالتالى ستتكفل بنقل الصورة له كاملة وواضحة بأسلوبها الخاص ، أما طرحك لاحتمال أوحد لا ثانى له وهو أنها إنما تزوجته لتصحح خطأ لا يتم تصحيحه إلا بالزواج فأنا لا أؤيدك تماماً فيه لأن ترجيحه وحده يوجب عليك مراجعة باقى الاحتمالات الأخرى مراجعة دقيقة متفهمة ومنصفة .



## ( 9 ) تغيير الحلم

لا شك أن الآباء والأمهات يساهمون بالنصيب الأوفر فى دفع الشاب والفتاة إلى الزواج ضد إرادتهم أو دون علمهم وفرض هذا الأمر الواقع عليهم ، هذه حقيقة هامة لكننا بالقطع لا نلقى باللائمة على الكبار وحدهم ونعفى الشاب والفتاة من هذه المسئولية بحجة أنهما أديا ما هو مطلوب منهما وأصبحا فى حل من أى تصرف غير محسوب ولنا فى ذلك حديث معهما ـ إن شاء الله ـ .

لكننا نرمى أولاً إلى تبصير الآباء بأهمية وخطورة دورهم فى معالجة الأمور لأنهم دون إدراك منهم لمدى الارتباط بين الفتى والفتاة يعمدون إلى محاولة تغيير الواقع بالقوة متجاهلين الفارق فى السن والخبرة والتفكير بينهم وبين هؤلاء الأبناء ومقدار العناد والتحدى المصاحب لهذه السن الصغيرة الخالية من النضج والتجارب .

كيف تتم خطبة ابنتهم على عريس آخر يعتبر إلى حد ما غريب عنها وهى لا تزال مستمرة فى علاقتها بالأول ؟ ماذا لو علم الزوج الجديد بأنها كانت مستمرة على هذه العلاقة وهى مخطوبة له ؟ ، وماذا تكون النتيجة لو تقابلت مع فتاها هذا وهى متزوجة واندفعت إلى إحياء هذا العبث واهمة نفسها أنه ملاك

سماوى مثالى فى كل شىء ؟ وهنا مكمن الخطر لأن معظم المتزوجين غير راضين الرضا الكامل عن زوجاتهم أو أزواجهم على زعم أنه كان بالإمكان الحصول على الأفضل وبالتالى فالزوجة التى كان لها فتى أحلام فى الماضى تميل إلى الاعتقاد أنه كان سيسعدها أكثر ، ناسية أنها عاشت معه أحلاماً وردية ولم تسبر أغواره الحقيقية ثم يخطىء الآباء مرة أخرى بتلقى طلب يد الفتاة من هذا الشاب لهم بالكثير من الاستهانة إذا كان قليل الإمكانات ويتخذون من المغالاة فى الطلبات سبباً لتعجيزه لإنهاء الموضوع بسبب آخر غير الرفض المباشر ، هكذا يوصدون باب المشروعية والحلال فى وجهه ووجهها ويعطونهما المبرر الكافى لتطويع ضميريهما للحدث والتصرف بغير أى قدر من العقل .



## (10) أوهام مراهقة

لسنا ننصح أبداً أى أب وكل أب بتزويج ابنته ممن تختار ـ هكذا كيفما اتفق ـ وإن كنا بلا شك نحبذ تفضيل من اختارته وآمنت به لكن لا مفر بطبيعة الحال من التدقيق وحساب الخسائر والأرباح لا مجرد تزويجها من أى عاطل أو بلطجى لا حاضر له ولا مستقبل استطاع بالخداع الاستحواذ على عقلها ذلك مرفوض بشدة مهما كانت الخسارة وللأب الحق فى اتخاذ كل ما من شأنه وضع الأمور فى نصابها الصحيح دون أدنى لوم له فى ذلك .

لقد فوجئت ذات يوم بشاب فى أواخر العقد الثالث وسيم الشكل حسن المظهر والهيئة، مصطحباً معه فتاة بإحدى المدارس الثانوية الخاصة تملك وجه طفلة بريئة لأعقد قرانه عليها واتضح من مناقشتها أنه يعمل سائقاً خاصاً لسيارة أسرتها فيأخذها كل صباح من الفيلا التى تسكنها إلى المدرسة ويحضرها بعد نهاية اليوم المدرسى لكنه فى ذلك اليوم لم يذهب بها للمدرسة واصطحبها لمكتبى ، لم يكن صعباً أن أدرك السر . . فكلماته السوقية هى كل رأسماله إذ كلها بلف وفهلوة وشطارة وخفة حركة ولا يمل من ترديد كلمات من قبيل : يا عسل ـ ياذوق ـ ياهندسة ـ طريقك أخضر ـ نهاره فل . . كلمات كلها تدعو للتفاؤل والمرح والحياة السهلة السعيدة وكيف لا تفتن فتاة فى هذه

السن الصغيرة بهذا الأراجوز وهو يسمعها هذه الكلمات المعسولة طول الطريق كل يوم من وإلى مدرستها ، وإزاء هذا التفاوت الصارخ والاستغلال الواضح والإنعدام التام للكفاءة لم يسمح ضميرى بالسكوت سألت عن الشهود وذهب ليحضرهم تاركاً الفتاة عندى ، وهنا استجمعت كل ما عندى من قدرة على الإقناع والإيجاز بعد أن صارت الدقائق والثوانى بالغة القيمة فى هذا الموقف الدقيق كى أبصّرها بفداحة الخطأ ، خاصة بعد أن علمت منها أنه متزوج وأنه لم يتقدم لأسرتها ، فأفهمتها أنه لن يجرؤ على التقدم بل هو فقط يخلق أمراً واقعاً يرغمهم فيه على الرضوخ - إن لم يكن الركوع - بهذه القرصنة .

وأحمد الله أن الفتاة أفاقت من هذا الوهم ، وفى الحال ودون أى تردد قمت بمرافقتها حتى أقرب سيارة ( تاكسى ) انطلقت بها إلى بيت أسرتها حيث روت لهم هذه القصة التى كان لها ما بعدها .



## (11) حدود ولاية الأب

ما موقف الأهل حيال ابنتهم وقد تزوجت فعلاً ضد إرادتهم ؟ ماذا هم فاعلون بعد ما أقدمت على توجيه هذه اللطمة لهم وبعد أن كانوا قد ركنوا إلى أنها نسيت ذلك ( العريس ) غير الكفء لها - حسب تقديرهم - ووضعتهم في ذلك الحرج البالغ والاختيار الصعب ، هنا تتفاوت ردود الأفعال من كافة أفراد الأسرة كل ُبحسب طبيعته .

ومعروف أن هذه الخطوة المفاجئة منها ستحدث فيهم نوعاً من الشلل الفكري والارتباك في التصرف في الأيام الأولى التالية لكن بعد أن تهدأ العاصفة لابد من أن يكون هناك موقف ثابت ومحدد تستقر عليه العلاقة بينهم وبين ابنتهم وزوجها ، أعرف أباً لا يعترف بزواج ابنته - رغم مرور عشر سنوات عليه - ويأبى لسانه أن يطلق على زوجها لفظ الزوج ويمنع أهلها من زيارتها فإذا استقبلها أحدهم في بيته فلدقائق وخفية كي لا يدري بذلك وتثور ثائرته ، حتى حين علم بأن زوجها الذي هجرتهم من أجله يستبد بها أشنع استبداد أمام أولادها وأمام جيرانها لم تلن للأب قناة ولم يفكر في مجرد السؤال عن ابنته ، ولا يعلق على ما يسمعه من إيذاء الزوج لها بغير كلمة لا يغيرها وهي : أنها تستحق أكثر من ذلك ، لأنها خالفت أمر الله في طاعة أبيها

برفضها الزواج ممن اختاره لها شاباً تقياً ناجحاً فى حياته ، يحفظ لها قدرها ويصونها ضد غوائل الزمن ، لكنها ضربت بذلك عرض الحائط وتزوجت ممن رفضوه لعدم صلاحيته لها ، نعم هى أخطأت فى تقديرها بل فى كل تقديراتها ، لكن ما العمل ؟

يقول المصطفى - ﷺ - : « **لا تنكح الأيم حتى تستأمر ولا تنكح البكر حتى تستأذن** » أى أن استئذان الفتاة يعد وجوبياً فى أمر أى خاطب يتقدم لها فلا يفرضه أهلها عليها وهى رافضة ، وحين أتت خنساء بنت جدام الأنصارية رسول الله تشكو إليه تزويج أبيها لها وهى كارهة رد الرسول الكريم هذا الزواج واعتبره كأن لم يكن . . وهذا معناه أن تزويج الفتاة بغير إرادتها باطل هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى يؤكد - صلوات الله وسلامه عليه - نقطة جوهرية وهى أنه : « **لا نكاح بغير ولى** » والولاية فى حالتنا هذه لوالد الفتاة لكنه يرفض الشاب المتقدم من ناحيتها وهى بدورها ترفض الشاب المتقدم من ناحيته ، إذن هناك خلاف وتعارض فى وجهتى النظر ، فما الحل ؟

الرأى الشرعى فى ذلك أن الأمر يرتد للسلطان درءاً للخلاف وحرصاً على المصلحة فالسلطان ولى من لا ولى له ، وللإبنة الحق فى اللجوء للقاضى كممثل للسلطان أو من ينوب عنه كالمأذون الشرعى الذى له أن يزوجها إذا رأى ذلك فى مصلحتها

الراجحة دون الرجوع لوليها العاصب ، ولا يعد ذلك عقوقاً من الإبنة يستوجب العقاب الإلهى على الإطلاق أما معاقبة الأب لابنته فهو فقط ينضوى تحت نوع من أنواع الثأر الشخصى لكرامته لأنها لم تصدع بأمره ، يمكن للأب مقاطعتها بالشكل الذى يدعوها لاسترضائه الترضية الكافية لرد الاعتبار له ، أما قطع قنوات الإتصال كاملة بين الفتاة وأهلها بعد زواجها فقد يكون فى كثير من الأحيان هو خطأ العمر بالنسبة لهم ولها فقد تكون أدركت أنها أخطأت فى قرارها أو قد تتكشف لها بشاعة الزوج فى التعامل معها لكنها عاجزة عن التصرف بمفردها وقد تعالج الخطأ بخطأ أشد تجنباً لإظهار فشلها أمام أهلها حتى تتفادى شماتتهم فيها ، وللأب أن يعى أنه مهما كان تصرفها جاء طائشاً فهذا لا يبرر له تناسى الفارق فى الخبرة والعمر وعليه أن يثوب لمنطق العقل ولا يقطع عليها خط الرجعة إذا ما اتضح له أنها أخطأت أو خدعت بكلام معسول ، فالزوج يستهين بالزوجة غير المعترف بها من أهلها أشد استهانة بل يعطى نفسه الحق فى أن يبيع ويشترى فيها كأرخص سلعة بعد هدوء جذوة العاطفة .



## (12) إلى الشاب والشابة

حان الآن وقت التوجه بالحديث إلى الشاب والشابة اللذين يرغبان فى تحدى إرادة الأهل والإقدام على الزواج ووضعهم أمام الأمر الواقع فقد قطعنا شوطاً غير قصير فى مخاطبة الأهل بما يساعد على تجاوز هذه العقبة ، وكان دافعنا بالطبع فى البدء بهم محاولة لفت أنظارهم وتبصيرهم قبل خروج الأمر من يديهم ، كذلك محاولة إنقاذ ما يمكن إنقاذه ، بالإضافة إلى أننا فى عملنا قلما نلتقى بهم كى نستعرض القضية كلها من كافة جوانبها ، وثم سبب آخر هو إحساس الشاب أو الشابة الدائم بانحيازنا ضدهما أو أننا نخصهما وحدهما باللوم وهو يعد نوعاً من الظلم إذا كان الكل مخطئاً أن ننحى باللائمة على أحدهما دون الآخر .

**عزيزى الشاب والشابة :**

تتمثل شكواكما دائماً فى عدم قدرة الأهل على تقدير عواطفكما حق قدرها أو أنهم لا يعرفون قيمة الحب الذى يربط بينكما وتنشدان تتويجه بالزواج ، هذا صحيح فى جانب كبير منه ، لكن الصورة ليست بهذه القتامة التى تتصورانها فلا يوجد آباء أو أمهات يكرهون السعادة لأبنائهم العكس تماماً هو الصحيح ، فهم يفنون أنفسهم إفناءً من أجل جعل حياة أبنائهم

سعيدة وتوفير كل سبل الراحة لهم .

فالهدف العام هو هدف فى غاية النبل يساند هذا خبرة الأهل الطويلة فى معترك الحياة التى تجعلهم يتجاوزون الأهداف البسيطة من أجل هدف أسمى وأشمل وأبعد ، وزواج الأبناء يحتاج لدراسة عميقة وحسابات طويلة . . طويلة ودراسات جدوى أشبه بدراسة المشروعات الاقتصادية العملاقة ، ذلك لأن الزواج هو محطة الوصول الأخيرة فى حياة المرء ، التغيير فيها غير مطلوب والتعاسة فيها مدمرة ، ولهذا فرأى الأبناء فيه وحدهم غير كاف ـ رغم أنهم أصحاب الشأن الأصليين ـ والأمر يحتاج إلى الشورى ومدارسة كل رأى مرة واثنتان وثلاث من أجل الوصول إلى أفضل قرار وأصوب رأى .

إذن يجب أن نتفق من البداية على أن الحب وحده لا يغنى عن كافة الجوانب الأخرى الحب شىء عظيم يبرهن على أن الدنيا لا تزال بخير وأن هناك قلوباً تملؤها المودة بعيداً عن الأطماع المادية التى تغرق فيها البشرية فى العصر الحالى لكن الحب دائماً يكون أكثر ثباتاً ورسوخاً إن أقيم على أسس موضوعية روعى فيها التكافؤ والتوازى وعدم الشطط فى الأحلام بدليل أن الغالبية العظمى من الزيجات التى تتم بطريق الحب العنيف تنتهى سريعاً جداً إلى فشل مخيف ولا تصدقوا أن هناك زواجاً متطرفاً نجح نجاحاً حقيقياً كما كان يتمنى الزوجان بالتأكيد يظل بينهما عدم

التقاء فكرى كامل لكنهما قد يتظاهرا بغير ذلك منعاً للشماتة من الغير فيهما ، فالحب المتطرف والعنيف ينتهى غالباً بكراهية وعداء غاية فى الشدة والعنف والتطرف أيضا لماذا ؟ لأن كل منهما كان يرى كل عيوب الآخر دون أن يفكر فى تركه أو الانصراف عنه لأن الألفة والحب بل والواجب أحياناً يمنعونه من اتخاذ أى قرار غير قرار الزواج منه ، وهو إذ ذاك يظن أن بمقدوره أن يغير من طبيعة محبوبه 180 درجة لكن بعد الزواج وانطفاء جذوة العاطفة يكتشف أن الطباع لا تتغير وهنا يفيق تدريجياً على الحقائق الجامدة وهو عاجز عن فعل أى شىء لإصلاح محبوبه .

فالحب يكون أعظم إذا راعى البعد عن تضخيم محاسن المحبوب وتصغير مساوئه .

يقول أرسطو : إن الحب هو عمى الحس عن إدارك عيوب المحبوب .

ويقول علماء النفس : إننا نرى فى المحبوب ما نتمناه نحن ونسقط عنه كل ما لا نحبه فيه من نوازع الشر ، معنى هذا أن الحب وحده لا يجب أن يدعونا لفرض رأينا كالأطفال على الأهل لتغليب بند واحد من عشرة بنود مطروحة للبحث ، أولى بنا قرع الحجة بالحجة والصبر على المناقشة والاستمرار فى الجدال الإيجابى بلا كلل طالما أن قضيتكما عادلة وأنكما على حق ، وأفضل لكما كثيراً استرضاء الأهل عن الخروج على طاعتهما .

## ( 13 ) الشاب رجل المستقبل

والآن نبدأ بالحديث إلى الشاب المقبل على الزواج عن طريق فرض الأمر الواقع على أهله أو أهل العروس التى اختارها .

**عزيزى الشاب :**

حين نجلس معاً وتسألنى المشورة فى أمر زواجك من فتاتك تضعنى فى حيرة بالغة لأنى أعرف أنك ما جئت من أجل النصيحة أبداً ، أنت جئت بسبب رفضك لكل نصيحة ، أنت فقط تسألنى أن أقر وجهة نظرك بعد أن ضربت عرض الحائط بآراء كل من يحبك أو يحب لك الخير . . وهذا هو سر حيرتى . . فكيف أستطيع أن أغير من رأيك أو أجعلك تعدل عن فكرة استحوذت على كيانك ؟ .

إن الله تعالى خصنا بالعقل دون سائر مخلوقاته لنستخدمه فى قياس الأمور بشكل جدى لا لكى نلغى هذا العقل أو نعمل على تغييبه فى اللحظة المناسبة لتحضيره وتوظيفه أفضل توظيف ، أعترف أننى أعجز كثيراً عن مناهضة آرائك لا لأنها آراء جيدة على طول الخط لكن لأنك ـ كما ذكرنا ـ جئت من أجل إقرار فكرتك ، مهما حاولت إيهامى بغير ذلك . .

أنت تعرف طريقك جيداً ، وتعرف أن الخط المستقيم هو

أقصر مسافة بين نقطتين لكنك تلجأ أحياناً إلى الطرق الملتوية إما لعدم تقديرك الصحيح للأمور واستخفافك بنصائح الكبار ذوى الخبرة فى معترك الحياة أو يجىء ذلك نتيجة مباشرة لتسرعك وتعجل النتائج بأى شكل وعلى أية صورة وبأى قدر من المكاسب مهما كان هزيلاً أو مهما كان لا يتفق مع المنطق ، فى حالة رفض أهلك ـ مثلاً ـ لفتاة اخترتها أنت وتأكد لهم أنها لا تصلح لك نجدك ترفض تماماً وجهة نظرهم برمتها الصالح منها وغير الصالح بغير أى فرصة لمدارسة الموضوع ومناقشته وبكل بساطة تختزل هذا الفارق الهائل بين خبرتهم وخبرتك فى الحياة .

هذا الإندفاع والتهور فى أخذ القرار والعصيان والتمرد عائده فى النهاية الندم والرغبة الأكيدة منك فى التراجع عن كل ما أخذت من قرارات بملء إرادتك واقتناعك وهذا أمر ـ لو علمت ـ بالغ المرارة .

إن الحالة الوحيدة التى تستحق منك أن تقف هذا الموقف من أهلك هى محاولتهم إرغامك على مخالفة الله وتزويجك ممن لا ترعى لله ديناً ، فى هذه الحالة يأمرك الرسول الكريم ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ بأن تظفر بذات الدين ، لكن لا تصور لنفسك أن فتاتك التى اخترتها هى ذات دين لمجرد أن أهلك يعرضون عليك فتاة أخرى كل مميزاتها الثراء أو العائلة العريقة . . الخ ، لأن ذات الدين لن يختلف عليها اثنان .

أما فى حالة تقدمك لأسرة فتاة فى مستوى أعلى من مستواك ثم جوبهت بالرفض من أهلها فإننا ندهش لتعجلك التراجع منهم والقبول بك بعد الرفض ، كيف وهذه عقيدة فيهم تحتاج لتغييرها فترة زمنية ـ ليست بالقصيرة حتى تنتقل من النقيض إلى عكسه وكلما زادت المسافة بين المستويين كلما زادت قوة الرفض منهم واحتاج الأمر لمجهودات أكبر وأكثر لتغيير وجهة نظرهم هذه ، وحين ترى منهم بعض الاستجابة وكانت لهم بعض المطالب أو الشروط ـ غير المبالغ فيها ـ وقطعت على نفسك وعداً بتحقيقها فلا تطاوع رغباتك فى النكوص عن وعدك لهم ذلك باختصار المسافة والهروب بفتاتك لعقد قرانكما بدعوى أنك موافق وهى موافقة وكفى ، لأنك بهذا تخلق الأزمة ـ وفى نفس الوقت تبدو صغيراً أمام ذويها وغير أهل للمسئولية ، وكان الأجدر بك ألا تقطع هذا الوعد على نفسك من البداية ومن النادر أن ينجح زواج بدايته الإساءة للأهل والتمرد عليهم وأخذ طريق العصيان لهم ومقاطعتهم وإذا انتهت رؤيتكما للأمور عند هذا الحد فقد وضعتما أقدامكما إذن على أول مدارج الخطأ فى طريق معروفة نهايته مقدماً .



## (14) البداية الخاطئة

**يا عزيزى الشاب :**

هل توقفت برهة وسألت نفسك لماذا أسرع بتقديم الشر على الخير فى أمر لا أبغى منه غير الخير ؟وبالتالى كيف أسرع بتقديم الإساءة لأهل فتاتى ثم أنتظر منهم الشكر والامتنان ؟ بل إن التسرع الذى دفعك للإساءة لهم هو نفسه الذى يدفعك بعد ذلك لتعجل رضاهم أو فتح باب الحوار معهم بعد ذلك ، أنت تعرف أن هناك تضارباً عكسياً بين هذا وذاك لا شك فى هذا ، فكلما أسرعتما بالإساءة للأهل كلما تطلبت عودة المياه لمجاريها وقتاً أطول .

فلماذا تقدم الشر على الخير ؟ ولماذا لا تساعدها على أن تكون صورتها طيبة أمام ذويها ؟ لماذا لا تنظر لبعيد فالزواج بداية طريق وليس هو النهاية أو أنه ليس غاية فى حد ذاته بغض النظر عن أى وشائج وروابط أسرية وكيف تبادر بالإساءة ولا تنتظر منهم ردود فعل بالغة الشدة فأنت أيها الشاب الذى حددت من البداية شكل حركة الأحداث وحددت بنفسك الاتهامات التى توجه إليك واخترت نمط السلوك وردود الأفعال وطرق معالجة الموضوع من جهتهم ذلك لأنك ظهرت على مسرح الأحداث

بطريقة خاطئة أو غير منطقية أو غير لائقة فأنت لم تدخل من الباب بطريقة مشروعة بل قفزت من النافذة قفزاً مما شوه صورتك وجعلك أقرب إلى صورة اللص فى الوقت الذى تحتاج فيه إلى قدر يساندك من الاحترام ويدعم وجهة نظرك أو يظهرك بصورة أكثر جدّية من تلك الصورة المقلوبة والمكروهة التى شاء حظك أن تكون هى صورتك لديهم مع بداية الأحداث .

ألست جديراً بأن تتوقف لحظة لتسأل نفسك عن ذلك الداع الذى يدعوك لأن تجبر أهل فتاة أحلامك على القبول بك قبولاً اضطرارياً هل يمكنك ـ أو يسعدك ـ أن تعيش داخل كيان يلفظك أو يرفضك أو يعتبرك مجرد طفيل يحاول التطفل عليهم إن الثابت أن هذه النظرة لا تتغير عند الناس طال الزمن أم قصر وكما قلنا : إن أهم خطوة فى الزواج هى الخطوة الأولى التى تفتح الطريق لباقى الخطوات فمن الحسن أن تكون خطوة محسوبة بحسابات العقل ، نحن نعرف أنك لن تهتم فى البداية بهذا الأسلوب منهم كثيراً لكن تأكد أنه سيأتى عليك وقت تضج فيه أعصابك بهذا الوضع المفعم بالإزدراء من جانبهم حين ترى نفسك وقد حوصرت بالكامل وبشكل مستمر بتلك النظرة الدونية البغيضة وستأتى عليك لحظة تكتشف عندها أنك أضعت الكثير من عمرك وجهدك وكرامتك فى طموح فارغ ولهاث مشبوب نحو هدف سخيف كان أولى بك الرجوع عنه فى وقت

مناسب وقد تستمر فى دفع هذا الثمن الباهظ مقابل لا شىء بالمرة وسيظل الرتق دائماً أوسع من إمكانات الراقع وقد تكتشف أن هؤلاء الشخوص من البشر الذين تتمسح بهم يعيشون جواً واهماً من الأبهة والتعالى على الغير من أمثالك ومن بعض السذج الذين يمنحونهم قدراً لا يستحقونه وقد يتأكد لك عند هذا الحد أنك أفضلهم بل أفضل منهم مجتمعين لكن هيهات أن تستطيع إقناعهم بذلك لأن خطأ دخولك بينهم إجبارياً فى البداية قلب الأوضاع وجعلهم دائماً فوق وأنت دائماً تحت ليظل هذا الوضع المعكوس قائماً طول العمر وكل ما ستفعله آنئذ هو أنك فى محاولات يائسة لاستجداء كرامتك وهيبتك ستعيرهم بابنتهم التى خالفت طاعتهم وتزوجتك ، بهذه الطريقة غير اللائقة ، وهكذا تخسر الزوجة وأهلها معاً .

ألا يستحق كل ذلك منك أن تتوقف وتعيد كل حساباتك من جديد ربما كان السبب وراء تسرعك فى أخذ القرار يدخل فيه عنصر اللهفة المصطنعة من الفتاة لك بدعوى تهافت العرسان عليها واختلاق أكاذيب عن إلحاح أهلها عليها فى الموافقة على فلان الذى يملك من المزايا كذا وكيت وأنها لا تستطيع مقاومة ضغوط أهلها وأنهم يجبرونها كل يوم على الجلوس أمام عريس مختلف علّها ترضى بواحد من أولئك المفتونين أو المهووسين بها تلك حيل وألاعيب أنثوية لا تنطلى إلا على شاب ولهان مثلك

يتصرف بعاطفته بدون وعى وبدون عقل ، المسألة ليست مزايدة ، لو كانت تحبك حقاً ما جالست أى شاب يتقدم لهم ولا تصدق أنها بعد أن تقطع الساعات أمام المرآة تتزين لمقابلة أى عريس أنها يمكن أن تلقاه بوجه متجهم أو أنها تطرده أو تنهره فإنها إن كانت كاذبة فهى خبيثة الطوية وإن كانت صادقة وقابلت فعلاً عرسان تقدموا لها فهى لا تستحق منك إلا الازدراء والإهمال فلا توجد إنسانة تحترمك ترضى أن تفعل ذلك فى حق نفسها وفى حقك وهى تربطك بوعد الزواج فإن كانت تفعل أتركها فوراً وإن لم تكن تفعل فنرجوك أعد قراءة ما قلناه لك قراءة متأنية .



## (15) آمال الآباء وآلامهم

يغلب على ظننا أنه لا توجد طعنة يتلقاها الأب مثل شق أولاده عصا طاعته ، خاصة ابنته فالأب دائماً يرى ابنته ألطف وأروع وأجمل بنات الدنيا ، ولهذا فهو يتمنى دائماً أن يزوجها لأفضل شاب فى الدنيا ، فإمكانه تزويجها بشكل مشرف زواجاً مريحاً لها هو أحد أهم غاياته فى الحياة ، ونجاحه فى ذلك له مذاق خاص لديه لا يدرك معناه إلا كل أب خاض هذه التجربة ، وما يؤلم أى أب أن تخذله ابنته هذا الخذلان بعد أن رباها وأنشأها وأولاها كل الرعاية وعلمها إلى أن حصلت على أعلى ـ ما استطاعت ـ من شهادات دراسية لكنها ، وبدلاً من أن تتوج كل ذلك بزواج رفيع المستوى تصدمه بالزواج غير المتكافىء سواء من شخص جاهل أو من عاطل أو من طامع فيها أو من شخص متزوج بزوجة أخرى . . إلى آخر هذه التفاوتات هنا يحس الأب أن تربيته لها وتعليمها لم يثمرا شيئاً ، بل ذهبا أدراج الرياح ، فليس من أجل هذا شقى وتعذب وتحمل كل عبء وضحى برغباته من أجلها .

هناك أباء لا يحتملون هذه الصدمة ، فإنه حين كان يبذل كل مرتخص وغال فى تعليم وتربية أبنائه كان ينشد من وراء ذلك الارتقاء بهم فى المركز الاجتماعى والنفوذ والزواج المشرف ،

ودائماً يحدوه الأمل فى إدراك هؤلاء الأبناء لتضحياته ، وبالتالى مكافأته بتحقيق ـ مجرد تحقيق ـ هذه الغاية فإذا جاءت تصرفاتهم بعد ذلك مخيبة لآماله ، أصيب بشرخ كبير يجعله يكفر بأبنائه وبجحودهم وحين يمنى نفسه بآمال عريضة ثم يصدم بمحاولة ابنته فرض ( عريس ) غير كفء لها مطلقاً فيرفض ثم تجىء اللطمة أشد بهروبها وتحقيق الزواج برغم أنفه .

يصطبغ ألم الأب عند ذلك بنوع من الحسرة لأنه يعرف أن زواجها محكوم عليه بالفشل والطلاق المؤجل لعدم التكافؤ وشعوره أيضاً بأن الأمور لن تعود مرة أخرى كما كانت بسبب نظرة الكثير من الشباب للفتاة السابق عقد قرانها وطلقت قبل الدخول بنظرة مختلفة فى الوقت الذى تحاول هى فيه إقناع الناس بأن عقد القران يعد شبيهاً بالخطبة ، وهذا بدوره جعل بعض الشباب ينظرون للخطبة نفسها على أنها نوع من التسلية غير البريئة .

فإذا كان هذا رأى قطاع هام من المجتمع فالأب ـ بلا شك ـ بما يملك من بعد نظر يعرف لهذه النظرة قدرتها فى النيل من سيرة ابنته ، خاصة وأن زواجها جاء بشكل إجبارى مورست فيه سياسة فرض الأمر الواقع دون اكتراث بالفضائح التى خلفتها وراءها والتى يدعمها ويوسعها سوء نية المتناقلين لهذا الخبر من خبثاء الطوية كما نرى ونسمع .

**فيا عزيزتنا الشابة :**

هل يكون جزاء الإحسان إلا الإحسان ؟ !

وهل يرضيك أن تصل الأمور إلى حد قتل أهلك معنوياً لمجرد اختلافهم فى الرأى معك ؟

أنت لا يرضيك أن تكون تلك هى مكافأتك لهم .



## ( 16 ) همسة لكل فتاة

يا آنستي : لا شك أنه كما يسعدك فإنه يسعدنا أن نراك متمسكة بالإنسان الذى يحبك ففى هذا أكثر من الوفاء والإخلاص لكن لماذا لا يمتد وفاءك وإخلاصك إلى أهلك أيضاً وهم أولى وأحق لأنهم هم الأصل والأساس ؟ ، فأنت قطعة غالية منهم يسعدهم سعادتها ويشقيهم كل ما يؤلمها ، وهم أصحاب باع طويل وخبرات واسعة فى الحياة نتيجة تجارب متنوعة على مر الأعوام وهم بالتالى يقصدون مصلحتك وحدك فيضعون كافة خبراتهم فى خدمتك ، وكم من أب اعتصرته الأحزان فى ليالى سوداء كئيبة بعد أن خرج أحد أولاده عن طاعته وخطا هذه الخطوة لإحساس هذا الأب بعجزه عن إفادتهم بمحصلة خبرته وتجاربه فى الحياة وعن إمكان توصيل هذه النصيحة الخالصة الحكيمة إليهم مع آذان لا تسمع وعقول مغلقة ترفض أن تفكر فضلاً عن عدم تصديقه أن الأمور تفلت من يده بهذه السهولة .

وللحق أقول : إننى أشعر بالأسف لأية فتاة تناصب أهلها العداء فى موقف كهذا لإرضاء فتاها بعد أن تقدم لهم طالباً يدها للزواج واتضح لهم أنه خالى الوفاض فلا إمكانات مادية ولا مهنة له أو مصدر للدخل ولا حتى يحوز مسكناً يقيمان به وكل ما

يملك مجرد وعود زائفة فإذا رفضوه لعدم جدّية طلبه لا يفكر فى أخذ خطوة إيجابية نحو إعداد حتى الحد الأدنى من متطلبات الزواج قبل أن يكرر طلب يدها لكنه يتقابل مع الفتاة ـ بعدها ـ متقمصاً دور الرجل الجاد الذى استبيحت كرامته من أهلها وأهين كبرياؤه من أجلها وعليها هى أن تتكفل بالباقى من أجله .

يا آنستى دعينى أقل لك وافهمى ما أقول . .

نحن نؤمن بأحقية الشاب الذى نفذ كل ما طلب منه ـ أو حتى أكبر قدر ممكن منه ـ يسمح بالزواج ثم يكمل الباقى ـ وئيداً ـ بعد ذلك لاستكمال أثاث بيته وهى ـ على أى حال ـ حياته التى سيعيشها وبيته الذى يرتاح فيه .

نقول : نحن نؤمن بأحقيته فى إنشاء حياة زوجية لكننا نختلف تماماً ـ وبلا مواربة ـ مع ذلك الممثل البارع الذى يلعب بعواطف الفتاة كى تضغط على أهلها ويوفر هو عن نفسه أية تكاليف للزواج ويكون كل رأسماله مجرد كلام جميل منمق يخلب به عقل الفتاة المسكينة التى تثق به وتحبه وتبنى كل آمالها على كلامه المعسول فيتخذ من رفض أهلها لأسلوبه المتنطع المستفز ذريعة ومبرراً يقنع بهما الفتاة بأخذ طريق التمرد والعصيان وعقد زواجه عليها وفرض الأمر الواقع عليهم .

إن زواجاً كهذا لابد من أن يفشل ، ذلك لتوافر كل أسباب

الفشل به والتى منها مجافاة الموضوعية والإغراق فى الوهم وانعدام التكافؤ لكن يرجع السبب الرئيسى للفشل فى تقديرنا إلى عنصر فى غاية الأهمية لكنك أهملته أو أسقطته من حساباتك وهو غضب الوالدين ، فماذا ينتظر من الفتاة بعد أن تتجنى على أهلها فى محاولة رخيصة تحاول أن تؤكد بها للشاب التصاقها به وتحمسه لاتخاذ خطوة بادعائها له أن أهلها يعذبونها أو أنها تعيش معهم فى ذل وحرمان و . . و . . و . . إلى آخر هذه الإفتراءات وتتقمص ـ بالكذب ـ دور الشهيدة أو الضحية المحاطة بالأعداء من كل جانب وتأخذه معها فى شطحات الخيال البعيدة ـ غاية البعد ـ عن الحقيقة لمجرد تحقيق أهدافها بأى ثمن ؟ فكيف ينجح زواج أوله غضب الوالدين ؟ وماذا تتوقعين من هذا الشاب مستقبلاً وقد استقر فى مفهومه أنك لا عزيز عليك ولا أمان لك مهما طالت عشرتك بدليل أنك بعت أهلك بكل بساطة حين اختلفت معهم فى إحدى مراحل حياتك على الرغم من أنهم أهلك وأنهم أصحاب كل فضل أنت به تحيين الآن هل يصدق هذا الشاب أنك سوف تكونين أكثر انتماء له أو أكثر اعترافاً بفضله مهما طالت عشرتك له ؟ هــذا هو السؤال وعليك الإجابة . .

## (17) التكافؤ

**يا عزيزتي الشابة :**

إن التكافؤ في الزواج بينك وبين زوجك هو أحد أهم أسباب استقرار هذا الزواج بل هو كذلك من أهم أسباب السعادة الزوجية .

والتكافؤ مطلب يشمل أموراً عدة منها التماثل البيئي والاجتماعي والاقتصادي والديني والثقافي والأدبي . . إلخ واعلمي أنك تخطئين في حق نفسك حين تتجاهلين الفروق الشاسعة بينكما في نواح عديدة بزعم أن الزواج سوف يذيب هذه الفوارق وأن الحب القائم بينكما له من الصلابة ما يقاوم به كل العواصف التي تحاول اقتلاعه وحين تلحظي بنفسك أن التربية مختلفة أو أن الطباع متعارضة تأكدي أنها ستظل على هذا الاختلاف بعد الزواج ـ إن لم يكن أشد ـ وإلا فإنك تغالطين نفسك إن الحب هو قبول المحبوب بكل عيوبه ومحاسنه دون توقع أي تغيير فيما نراه فيه عيوبا .

أما أن نرى العيوب محاسن فهذا هو جنون الحب الذي يصل بالبعض إلى نوع شاذ من الإسقاط والسفه الذي يصيبه بالعمى التام وعشق ذات المحبوب وهو جنون يحتاج للمعالج النفسي .

ويتحتم فى هذه الحال منع قيام هذا الزواج وإلا لكان كمن يرتفع بالبناء عشرة طوابق فوق أساس لا يتحمل أكثر من طابق واحد ، فالأجدى لك ألا تتجاهلى اختلاف الطباع بينكما ولو للحظة وإن كنت من أسرة بسيطة مكافحة فى سبيل العيش الكريم ثم حلق بك الطموح والتطلع للارتباط بشاب من أسرة ثرية ميسورة الكسب بغير معاناة ، فهى أحلام وردية جميلة لكنها لا تصلح أساساً يبنى عليه زواج ناجح على الدوام ـ خاصة إذا كان أهلك يلمسون بخبرتهم وبعد نظرهم هذه الحقيقة ـ لأنهم يعيشون ـ بعكسك ـ على أرض الواقع .

إن زواج البسطاء من عائلة كبيرة مشكلة فى حد ذاته ، فما بالك بزواج فيه المسافات أطول بكثير من قدرتك علي الجرى واللهث وفيه الأسوار أعلى بكثير من قدرتك على القفز ولا يغرنك موافقة بعضهم على هذا الزواج فهذا لا ينهض ضماناً للسعادة بينهم فلن تكونى ـ على المدى البعيد ـ أكثر من عاملة بالأجر فى هذا البيت مهما كانت البدايات طيبة ، أما إذا لم تكن عائلة الشاب موافقة بك من الأساس فبلا شك ستكون حياتك بينهم أسوأ وستأسفين على كل لحظة فكرت فيها فى الارتباط به .

ولا تحاولى يا آنستى أن تجعلى شاهدك فى ذلك ماترينه فى الروايات والأفلام من تتويج قصة الحب غير المتكافىء بين الشاب

والشـابة بالزواج لأن الزواج فى الواقع هو بداية القـصـة وليس نهايتها إلا أن هذه الأفلام والروايات لا تصور لنا الحياة بينهما بعد ذلك كأزواج وكمصاهرة .

نحن لن نقـول لك حطمى قلبك أو حطمى هذا الحب فكل ذلك سيتحطم بعد الزواج وستقـوليها بنفسك . . ( ليتنى ما فعلت ) . . لكننا فقط نقول لك : جربى أن تضعى هذا الحب تحت الاختبار ، وحاولى بنفسك تصور حياتك بينهم بعد الزواج ، وبعد انضمام عريسك لهم . . وحتماً سينضم . .



## (18) أكاذيب وضلالات

**يا آنستى العزيزة :**

تأكدى أنه لا يصح فى هذه الدنيا غير الصحيح ، ولا تنسى أن الزواج ضد رغبة أهلك ملىء ـ بكل أسف ـ بالتجاوزات ، ومحاولات طمس الحقائق وإخفائها لكن إلى متى ؟ !

إن الكذب لا يدوم طويلاً ثم لا يلبث أن ينكشف ، وإن لم ينكشف بذاته فإن ما يترتب عليه من آثار تكشفه مثل الكوب المشروخ ، ينكسر بمجرد صب الشىء الساخن فيه مهما حاولنا إخفاء الشرخ .

إن قصص الكذب والغش ـ بل لا أتجاوز إن قلت والنصب أيضاً ـ تترى أمامنا كل يوم تقريباً ولا أعرف كيف السبيل لإفهام الفتاة هذه الحقيقة ، ونتساءل بكل الأسى هل هذه الفتاة بلهاء بهذه الدرجة ؟ ! .

ذات يوم جاءت فتاة مراهقة ومعها فتاها ليعقد زواجه عليها ضد رغبة أهلها بعد أن طلبوا منه فقط ( شبكة ) معقولة من الذهب ، وهو يقول : أنه خالى اليد حالياً ، لكنه ينتظر خطاب القوى العاملة والذى سيصل حتماً خلال سنوات قليلة ولما سألته لماذا لا يوجد لنفسه عملاً بدلاً من الانتظار خمس أو ست

سنوات ؟ أجاب : بأنه يبحث عن عمل ، ولما سألته لماذا لم يعمل في السنوات الماضية منذ تخرجه ؟ أفاد بأنه لم يجد عملاً يناسبه ، وسألت الفتاة هل يرفضه أهلها أجابت بالنفى ، بل إنهم موافقون على خطبتها له حتى يستعد للزواج واتضح من مناقشتها أن الشبكة المطلوبة بسيطة جداً ، فسألتها أين إذن المشكلة وهم كما ترين لم يطلبوا منه ما يعجز عنه ؟ فكررت ما قاله فتاها حرفياً .

وسألتهما عن الخطوة التالية بعد عقد زواجهما فجاء الرد بأنه سيتقدم لهم مرة أخرى ومعه وثيقة زواجهما هذه المرة ليضعهم أمام الأمر الواقع ، لم أقو بعدها على سماع باقى القصة وأى قصة هذه التى نسمعها ونحن أمام شخص ملىء بالمكر والغش وعدم المسئولية ؟ إنه لا يضعهم فقط بل يضعها هى قبلهم أمام الأمر الواقع ؛ مخافة أن تغير رأيها مع الوقت وتقتنع بصواب رأى أهلها ، ومن عجب أنها تمده بالمال كى يبدو أمام أهلها فى صورة ( أبو الفوارس ) محقق المعجزات وحين أردت اختبار نواياه صارحته بأننى سأفرض حقوقاً لها يوقع باسمه عليها ؛ مادامت إمكاناته حالياً لا تسمح بشىء ، فظهر عليه الارتباك والاضطراب وبعد أن ضاق من التوجس فى عين فتاته ، تمالك نفسه سريعاً وأبدى استعداده لذلك تماماً لكنه شرع فى التنصل من الموقف مستغلاً ظروف حضور ضيوف لزيارتى ، وتذرع بأن أحد هؤلاء الضيوف يعرف أهل الفتاة ، وقد يخبرهم بالموضوع ،

ونهض ومعه فتاته وأصحابه الذين أحضرهم للشهادة على عقد الزواج ، وللأسف كل الأسف أيدته الفتاة فى ذريعته المختلقة ثم تبين أن أحداً من الضيوف لا يعرف عنهما شيئاً بالمرة .

هذا نوع من الغش والنصب ساهمت فيه الفتاة بكذبها على أهلها .

ومهما كانت مصلحتها متمشية فى وقت من الأوقات مع مصالحه ؛ فإن كل هذه الأكاذيب والضلالات ستنتهى بها وحدها نهاية موجعة - بعد أن يفلت الجانى من جريمته - لا يوجد - بكل أسف - نص بالقانون يحاسبه عليها والأمثلة على ذلك كثيرة يضيق بنا هنا المجال لحصرها ، منها الشاب المتزوج بزوجة أخرى وتكذب الفتاة على أهلها وتخفى ذلك عنهم ثم تتحمل وحدها عاقبة هذا الإخفاء بالتالى فهى تفقد من البداية اللغة المشتركة بينها وذويها لتدخل معهم فى دوامة من اللجاج والجدل بغير فهم موضوعى للمشكلة . .

فيا آنستى : فكرى أكثر مما تتكلمى واسمعى أكثر مما تجادلى وضعى الأمر موضع الاختبار فأنت وأهلك تريدان الخير ؛ ولكن فقط الأسلوب يختلف . . كلٌ بحسب مقدار خبرته فى الحياة . . هم . . وأنت .

## (19) وقت الحساب

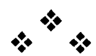
**يا آنستى العزيزة :**

فى الفصل السابق تحدثنا عن الكذب والغش وطمس الحقائق المصاحب دائماً لمواقف الضعف والتى منها هذا النوع من الزواج ( **زواج الأمر الواقع** ) ، واليوم نتحدث عن التغاضى عن السلبيات بغير وعى كاف بها فإذا حان وقت الانتباه إليها كان أوان التصحيح قدفات وخط الرجعة قد قطع ، ولا يوجد حتى ما يمكن إنقاذه ، إن العواطف المشبوبة قد تسمو بالفتاة وتجعلها تحلق فى سماوات المثاليات ، وإسقاط كافة نوازع الشك أو عدم الإخلاص عن المحبوب ، وتتدخل عناصر كثيرة فى طول أو قصر مدة هذا التحليق فى الخيال حتى إن البعض يفضلن العيش فى هذه الجو الحالم عن الزواج نفسه لمعرفتهم أن الزواج سينهى هذه المرحلة الوردية ، والإنسان يظل دائماً يجرى وراء الهدف فإذا ما لحق به استصغره ورآه لا يستحق ، وهذا بالتالى يفسر لنا لماذا تهدأ عواطف المحبين بعد الزواج ، ذلك لأن الزواج ـ كما قلنا مراراً ـ يعد أسلوبا للحياة وليس هو الغاية من الحياة ، ففتور العواطف وهدوئها بعد الزواج أمر طبيعى ، والفتاة العاقلة هى التى لا تنسى إبان فترة توهج العواطف هذه أن تظل محتفظة بكرامتها وكرامة أسرتها لأن الشاب إن اعتبر تصرفاتها الطائشة نوع من

التضحية من أجله إلا أنه بعد هدوء غمار العواطف ستنجلى نظرته للأمور ويدرك أن ما فعلته عروسه ليس إلا عملاً ذميماً لا تستحق عليه الشكر وستظل هذه الغلطة منها غُصة فى حلقه طوال حياتهما الزوجية والتى من المرجح ألاتستمر طويلاً لتنتهى بالانفصال وتبقى نقطة الخلاف الدائمة فى حياتهما أنها ترى تضحيتها بالطرحة البيضاء وحفل الزفاف و . . . . و . . . إلخ جميلاً يستحق منه العرفان والثناء ، فى حين أنه لا يرى من الأمر كله إلا خطأها القديم وتساهلها وتحديها لأهلها ، ومنطق الأمور يقول بأن التى تتحدى أهلها تعد من الوجهة الأخلاقية زوجة غير صالحة وغير مريحة .

أذكر أننى ذات ليلة باردة من ليالى الشتاء من عدة سنوات فوجئت بشاب وفتاة يطرقان بابى يطلبان منى أن أعقد قرانهما ، واعتذرت لهما بعدم إمكانى النزول معهما للمكتب فى هذا الوقت المتأخر وهذا البرد القارس ، وانصرفا لكنهما لم ييأسا من طرق أبواب كل مأذون حتى استجاب لهما أحدهم وقام بعقد زواجهما ، وبعد عدة أشهر وجدتهما أمامى يطلبان الانفصال بعد أن أشبعها زوجها هذا نفسه معايرة بما فعلته معه من الهرب وطرق أبواب بيت كل مأذون فى ساعات الليل المتأخرة . وبقدر ما أوسعها من هذه التجريحات بقدر ما امتلأت نفسها كراهية واحتقاراً له .

فيا آنستى العزيزة : لا يفوتك فى أمر زواجك أن تحتفظى بكرامتك وكبريائك ، فلا ترخصى نفسك ويجب أن يكون ذلك نابعاً من اقتناع يقينى منك وليس تمثيلاً وادعاء للكرامة من قبيل أن تقولى له ـ مثلاً ـ أنك رغم معرفتك بأن الأصول تقتضى بألا تفعلى ذلك فإنك ستفعلينه من أجله ، هذا يا آنستى عذر أقبح من الذنب نفسه ، ولن يشفع لك عنده شيئاً لأن الأصول لا تتجزأ ، ولا تتأقت فالزواج يطلب بعزة النفس تماماً ، وإلا صارت هذه سقطة شنيعة ، وحطة مهينة لكرامتك وكرامة أسرتك ـ واعلمى أنه بقدر تساهلك فى البداية يسهل عليه التفريط بك فى النهاية .



## ( 20 ) المسئولية والعبث

لقد جمعتنى مناسبة بإحدى الآنسات تقرأ لى هذه السلسلة من المقالات التى أنشرها ( بالناس ) الغراء وسألتنى هل أنا رجعى ؟ أم أقف مع الكبار ضد الشباب ؟ أم أننى أميل إلى ضرورة إرغام البنت على الزواج بمن لا تحب ؟

وأردفت تقول أن أهلها يرفضون تزويجها من زميلها بالجامعة مع أنه من أسرة ميسورة ويسبقها فى سنوات الدراسة بالجامعة ؟ قلت لها أنه لا يغير من الأمر أنه يسبقك فى الدراسة أو أنه أكبر منك ويجب أن يكون مفهوماً لديك أن زميلك بالجامعة هو مجرد طالب علم وطلب العلم هدف قائم بذاته ، فهو لن يشعر بالمعنى الحقيقى للزواج ، إنه لا يزال فى مرحلة البناء ، وعين الخطأ أن نطالبه بتحمل مسئولية أخرى تشغله عن دراسته هذا أمر . . والأمر الثانى أنه هو نفسه لا يحبذ الزواج كمسئولية وواجب وعطاء مهما ادعى غير ذلك لأنه يفضل أن يعيش الحب الرومانسى الخالى من المسئولية ، مسئولية نفقات بيت وأولاد ومدارس وأطباء وقلق وسهر ، هو ينظر لك كزهرة أعجبته فأراد قطفها ، لكنه سيضيق برعاية هذه الزهرة ومداومة الاعتناء بها كى تظل نضرة وعلى قيد الحياة إن حياة الإنسان مراحل متتابعة وبالتالى ، فاهتماماته تتغير بالتبعية مع كل مرحلة فالطفل يلهو

بلعبته ، والمراهق يشغله إثبات كينونته وإبراز ذاته بين العالم المحيط به ، والشاب يسعى إلى بلورة شخصيته وأهدافه وصولاً لمرحلة النضج العقلى والوجدانى ، والزواج مرحلة يصل فيها الشاب إلى بداية توسيع دائرة اهتمامه من ذاتيته وفرديته إلى حياة زوجية مشتركة أساسها العطاء المتبادل وليس الأخذ فقط ، وتلك هى الركيزة الأساسية التى يرتكز عليها نجاح الزواج .

وإذا لم يصل الشاب لهذه الدرجة من النضج فمن المؤسف أن نقول أن هذا الزواج سيفشل سريعاً ما بقيت الذاتية أو الأنانية تحكمه ، إن البنت تملك دائماً رؤية أكثر اتساعاً وشمولاً وتكون أبعد نظراً عن الشاب فى هذه الناحية لأنها تملك بحسها الغريزى أهمية الاتكاء على كتف زوج جاد يشعر بالواجب ويتحمل المسئولية ويوفر لها الأمان المستقر غير المتذبذب مع الأيام ، والأحداث والأهواء ، إن زميلك بالجامعة يا آنستى ، إن كان يبادلك الإعجاب والحب فهذا أمر وارد نتيجة الاختلاط بالجامعة لكنها عواطف لا تدرك الزواج وتبعاته فهى تتوقف عند كلام جميل منمق فقط .

أما أن تتحول إلى زواج فهى مجازفة جد خطيرة ، لأن احتمالات النجاح فيها ضعيفة ، وقد ينعكس الفشل على حياة البنت كلها لأن الزواج الأول فى حياة البنت هو البداية وهو

النهاية ، وإن تداعياته تظل ملقية عليها بظلالها الثقيلة طول العمر . . إن هناك ظاهرة سخيفة ، وبدعة مرذولة أخذت تشق مجراها بين قلة من طلبة وطالبات الجامعة بدأت تتناثر نتائجها هنا وهناك ، فقد حكت بعض الآنسات أن الواحدة منهن حين كانت على علاقة عاطفية بزميلها كتب معها ورقة يعترف كل منهما فيها للآخر بالعهد والميثاق بأنهما زوجان ، أو بأن يكون كل منهما للآخر . . إلى آخر هذه الصيغ وللأسف بعد أن خالفت الظروف إرادتهما ، أصبحت هذه الورقة عائقاً فى طريق البنت فى زواجها ومصدر تهديد لهنائها وسعادتها ، وتفاجئنا بالتساؤلات ، ونحن بالتالى نحار فى الإجابة لأننا عاجزون عن إدراك طبيعة الدور الذى كانت تمثله هذه الورقة فى علاقتها السابقة وما ضرورتها إذا كانت هذه العلاقة بريئة كما تدعى الفتاة فلا هى عقد زواج على الإطلاق ولا هى تفرض لأى طرف حقوقاً ، ولا تفرض عليه واجبات نحو الآخر .

وخلاصة القول : أنها تعتبر خطأ أدبى وأخلاقى لا يليق بمن تحرص على سمعتها واعتزاز أسرتها بها .



## (21) الأخلاق لا تتجزأ

**يا آنستى العزيزة :**

إن الكفاءة فى الزواج ليست مجرد التكافؤ العائلى أو الثقافى أو التكافؤ فى الغنى والثراء أو النفوذ الاجتماعى هناك ما هو أهم وهو التكافؤ فى القيم والأخلاق والمبادئ والتدين .

ـ ذات يوم قصدنى رجل فاضل بكل ما تحمله هذه الكلمة من معان ، وكان يستفسر عما إذا كانت ابنته قد تزوجت لدينا أم لا وعلمت منه أن ابنته تركت البيت وهربت مع شاب سبق أن تقدم لوالدها ورفض ، حيث كان بصحبته شقيقه وصديق آخر وأحس الأب بأن أخلاقهم لا تتمشى مع الأخلاق التى ربى عليها أولاده بتاتاً كما أنه لمس من شقيق هذا العريس غلظة فى القول وخشونة فى المعاملة وجليطة فى الكلام ، وأدرك الأب أن ابنته ستورد نفسها مورد الهلاك إذا تزوجت من أحد هؤلاء الأجلاف الذين استخدموا معه لغة فى الحوار أقرب إلى التهديد كأنهم لم يأتوا لخطبة ابنته وإنما حضروا للسطو والقرصنة هذا الأسلوب جعل الأب يصمم على رفضه لكن كانت اللطمة التى زلزلت كيانه هى هروب ابنته معه ، وبعد أسابيع قابلنى هذا الرجل فى الطريق ، وخيل إلى كأنما تقدم به العمر أكثر من عشر سنوات ، وبادرته

بالسؤال عن ابنته فأخبرني بأنها فعلاً تزوجت هذا الشاب وتعيش معه يذيقها أشد ألوان العذاب فى حجرة متهالكة فوق سطح بيت أشبه بعشة الدجاج وأن زوجها هذا أصبح بلا عمل وأنه يحرمها من ضروريات الحياة لينفقها على تعاطى حبوب الهلوسة وأنها تزداد يوماً بعد آخر شحوباً وذبولاً ولا أحد يقف بجوارها لا من أهله ولا من أهلها .

ـ آنسة أخرى بعد أن تحدت أهلها وتزوجت من شاب عاشت فى بيته مع والدته وأخته الصغيرة ولم يسعفها عقلها لتسأل كيف تشجع أم ابنها على الزواج بهذه الطريقة ولديها فى نفس الوقت ابنة مراهقة يفترض أنها لا تسمح لها بالزواج بنفس الطريقة لكن لم تكتشف هذه الزوجة إلا بعد فوات الأوان أن هناك خللاً فى هذه الأسرة وأن الأم فيها سمحت بتزويج بناتها الأخريات قبل ذلك بطريقة أكثر قبحاً من ذلك وأدركت كذلك أن الفارق الأخلاقى بين أسرتها وهذه الأسرة هو بعد المشرق عن المغرب وأن حماتها هذه كانت تشجعها على تحدى أهلها لاتخاذها لها شغالة بلا أجر وبعد أن كانت تمنيها بالسعادة تبخر كل هذا واصطدمت بالواقع المرير .

ـ وحين تأتينا شابة جميلة يحسدها الجميع على ذلك وتطلب اقترانها بشخص مقترن بزوجة أخرى بعد أن رفضه أهلها لهذا السبب ، فالمرء يحار فى أمرها فأبوها يمنى نفسه بتزويجها

من شاب على أرفع مستوى لأن حسن وجهها يجعلها مرجوة ويتهافت عليها الخاطبون وأمامه فرصة اختيار أفضلهم لها ، لكنها تفضل أن تكون الزوجة الثانية ـ أو كما يقولون : ( ضرة ) ـ على أن تتزوج من يناسبها ويشرف أهلها ، وهى تعيش فى وهم كلماته المعسولة دون التفكير فيما تحمله من معان يكتنفها الغموض فهو يؤكد لها أن زوجته مليئة بالعيوب وأنه يكرهها وسوف يطلقها ، لكنه فى الوقت الحالى لا يستطيع لعدم وجود ما يدفع به مستحقاتها لديه ، كل ذلك والفتاة تصدقه وتبحث له عن عذر لتبرير علاقتها به أمام نفسها قبل الناس ، إنسان كهذا زوج وأب لأولاد وبنات تكاد تماثل الواحدة منهن عمر تلك الفتاة ، هل هو يشعر بمسئوليته تجاه بيته وزوجته وأولاده ولو اشترطت الفتاة عليه للاقتران به تطليق زوجته لفعل لأنه غادر ولا أمان له وإن رفض أو تنصل من ذلك فهو كذاب لأنه يخدع الفتاة التى تثق به وفى نفس الحال فإنه يقول إفكاً وبهتاناً عن زوجته بأنها مليئة بالعيوب ، وواقع الأمر أنه هو المليء بأخطر العيوب من كذب وغش وافتراء وانعدام ضمير ، لكن أنى للفتاة إدراك ذلك كله وهى غارقة فى الأحلام وهو لا يرعى الله فيها أو فى أهلها ؟

إن أدوات أى نصاب من إغراء وإغواء تلغى فعل العقل وهذا لاينجح مع أهل البنت ، فهو إذ ذاك يصطدم بواقع مختلف أمام عقل يفند أقواله ويقبل المنطقى منها ويرفض ما دون ذلك فى

وجود قلب محايد تماماً يختلف عن قلب ابنتهم التى أسلمته عقلها من البداية وباتت تفكر بعاطفتها .

إن التباين الأخلاقى أو الدينى لا يخفى على من يريد لكن المشكلة تكمن فيمن لا يريد أن يرى ذلك .

إن التكافؤ الدينى والأخلاقى - فى رأينا - يقع على قائمة المطلوبات فى الزواج ، وصدق رسولنا الكريم - صلوات الله وسلامه عليه -: « **إن جاءكم من ترضون دينه وخلقه فزوجوه إلا تفعلوا تكن فتنة فى الأرض وفساد كبير** » .



## ( 22 ) عزيزتنا الأم

### إليك يا سيدتى :

يا كل أم لها أبناء أو بنات فى سن الشباب أو المراهقة نقول : هل تعلمى أن أثر الأم كبير جداً فى اتخاذ ابنتها نهج التفكير فى أخذ قرار الزواج ضد رغبة أهلها والتمرد عليهم ؟

إن الإبنة فى مرحلة التنشئة قد ترى أو تسمع من أمها ما يدعوها إلى ذلك عن غير قصد من الأم أو عن جهل منها ، فبعض الأمهات تبدى قلقها الشديد ـ والذى لا مبرر له ـ أمام بناتها إذا لم يتقدم لابنتها الكبرى ـ مثلاً ـ أى خاطب نظراً لصغر سن الإبنه على الزواج .

هذا القلق الذى تبديه الأم وبشكل متواتر ويومى تقريباً ينقل عدوى القلق إلى هؤلاء البنات فيمر عليهن العام وكأنه عشرة أعوام ، فتسعى كل ابنة منهن إلى نسج علاقة بأى شاب ظناً منها أن هذه فرصتها الأخيرة ، فإذا كان الشاب غير مناسب لها قوبل اختيارها هذا بالرفض من أهلها ومنهم أمها التى بذرت من قبل بذور القلق بين بناتها ودفعتهم دفعاً لهذا اللهث المذعور نحو الزواج ، بل إن الأم حين ترفض فإنها توقع ابنتها فى حيرة بالغة تفقدها الثقة فى صدق نية الأم بتمنى السعادة لها حقاً ، كذلك

تخطئ بعض الأمـهـات أشـد الخطأ ـ بدعـوى إعـداد الطفلة للمستقبل لتكون زوجة وأماً ناجحة ـ بغرس عقيدة فى البنت مؤداها أن أهم مكسب فى حياتها هو الحصول على العريس .

والغـريب فى الأمر أنها بعد ذلك تطالبـها بالاستمرار فى تعليمها وتحصيل دروسها بشكل منتج . . فكيف ؟ ! !

**يا سيدتى** . . ليكن حثك لابنتك دائماً وفى كل آن وأوان إلى أن الأولوية على الدوام هى للدراسة والحصول على أرقى الدرجات العلمية وأن الزواج أمر سهل وميسور فى أى وقت وسيأتى وحده بعزة النفس وبغير تلهف على مجيئه ، هل تعلمى يا سيدتى أن الكثير من حالات خطف الإناث أو التغرير بهن جاء نتيجة رغبة انتقامية من الشاب سطحى التفكير ، ضحل الخبرة بالحياة ، موجهاً ضد البنت بعد أن تركته ، وذلك راجع لتهالك الفتيات على إنشاء علاقات عاطفية فى هذه السن الصغيرة بتأثير لفت بعض الأمهات نظر بناتهن إلى أن نجاح البنت الحقيقى فى الحياة هو فى اجتذاب العريس فتظل الإبنة تتحين الفرصة إذا لم تخلق هى هذه الفرصة ، مضحية بالكثير من الحياء المطلوب توافره فيها ، فإذا ما تبين لها سوء أخلاقه أو طباعه وقررت أن تتركه ، تحركت نفسه الشريرة للانتقام منها .

## ( 23 ) كونى صديقة لابنتك

**عزيزتى الأم :**

حين يأت ابنتك شاب طالباً يدها وهى تعرفه ، ثم يتضح أنه لا يملك إمكانات الزواج ، ينشأ الجدل بينك وبينها ، فيتصاعد ويشتد كلما ازداد تمسك كل منكما برأيه حتى يصل الأمر إلى نوع من الصراع السافر والمعلن . . وكلما تصلبت الآراء كلما تأزمت الأمور واشتعلت النار التى تحرق أعصاب الجميع بلا طائل وحين تصل المشكلة إلى هذا الحد فالمقدمات كلها تنذر بوقوع كارثة وشيكة مالم يتدخل العقل ويعمل على تهدئة الصراع ودفعه فى اتجاه إيجابى بناء وتتفاوت أشكال تعامل الأمهات مع الأزمة من واحدة لأخرى وتخطئ الأم حين تحاول كسب المعركة حالياً مع ابنتها بأى سلاح ـ وليكن بعد ذلك ما يكون ـ ذلك بإغرائها بثراء عريس آخر ـ مثلاً ـ لتتخلى عمن ترغب وتتنكر له سعياً وراء العريس الجاهز نقول لها :

لا يا سيدتى لا تحاولى ذلك لأنك إن كسبت مكسباً ضئيلاً فهو لن يتناسب أبداً مع خسارتك لابنتك على المدى البعيد ، بل نكاد نشك أنك ستكسبين شيئاً بالمرة مثال ذلك أن هناك بعض الأمهات ـ تغرس ـ للأسف ـ فى روع بناتهن بشكل مستمر

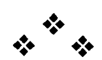
ـ بوعى أو بغير وعى ـ أن دفء ( جيب ) العريس هو أساس السعادة الزوجية ، وأن الخلافات بين أى زوج وزوجته واقعة لا محالة ، وما دام الأمر كذلك فلتكن خلافات مع ثراء أفضل من خلافات مع فقر .

هذا التشويه المتعمد لنفسية الإبنة تنعكس آثاره المدمرة على حياتها كلها فيما بعد ، هل تعلم الأم أنها بذلك قد تدفع بابنتها للتعلق بأى رجل ثرى متزوج ولديه أولاد فى مثل سنها ثم تحاول أن تفرض ذلك على أسرتها وذويها أو ترتبط بشاب ثرى ماجن يملك المال ولا يملك الخلق فتكتوى بعبثه ومجونه ، وهى فى الأساس ضحية تفكير وتوجيه الأم ، أعرف أن هذا الكلام لا يروق الأم اللاهثة على العريس الثرى بأى ثمن وبأية تضحية لكن حديثنا موجه أصلاً وفقط للأم التى تنشد التنشئة السليمة لأولادها على الدين والخلق والمثل العليا ، وفى الكثير من حالات تمرد الإبنة على أسرتها والتفكير فى الزواج ضد إرادتهم نجد أن الصداقة بين الأم وابنتها مفتقدة وأن الفكرة المطروحة غير قابلة للنقاش بالمرة ، قد تكون الأم على حق فى ذلك ، ولكن كونها على حق شىء ، ومعالجة الأزمة شىء آخر قد يضطرها للصبر على مالا تطيق ، وسماع مالا تريد بل وتقبل مناقشة أفكار يعد من الجنون مناقشتها .

**يا سيدتى :**

اصبرى وكونى صديقة وفية مخلصة لابنتك ، أمينة على سرها ، وعليك تأجيل قرارك النهائى بعض الوقت ، ولا تظهرى امتعاضك ورفضك فى البداية ، بل اجعلى باب الحوار بينكما مفتوحا على الدوام بغير تكميم فمها أو قطع حبل النقاش معها أو مصادرة رأيها ومن الواجب أن تطمئن ابنتك تماماً لذلك ولا تشعر لحظة بفقد الشعور بمصداقيتك فى هذا على الإطلاق كما أن صداقتك لها مطلوبة كذلك كى تمكنك من معرفة تطورات نمو العلاقة بينهما لتظل داخل إطار الحدود الآمنة ، بدلاً من أن تنمو فى غيبتك ، وبالتالى يمكنك تصحيح مسارها بالإرشاد والتوجيه المستمر لمساعدتها على سبر أغوار الشاب وكشف مقصده إن كان عابثاً ، مع الحذر من أن تظن أنك بتفاهمك معها وصداقتك لها تغضى الطرف أو أن سكوتك هو دليل رضاك بشكل مستتر لأنها بذلك تكون قد حصلت على الضوء الأخضر للتصرف بما تراه دون غضاضة فضلاً عن ذلك فإن حكمة الأهل فى معالجة الموقف تحرم البنت من المبرر الذى تتذرع به دائماً أمامنا من عدم وجود من يسمع لها أو يعبأ برأيها ، وهذا بالفعل صحيح بسبب تعجل الأم على حسم الموضوع بالثورة والرفض أو بالمغريات ـ كما ذكرنا آنفاً ـ ونعتقد أنه من الأوفق أن يستمر الحوار والنقاش

والمفاضلة بحياد ونزاهة كي تلمس ابنتك بنفسها أنك فعلاً حريصة - كل الحرص - على مصلحتها .



## (24) الحصاد

مما سبق تتضح عدة أمور يجب أن نضعها دائماً أمام بصائرنا وهى تتلخص فى الآتى :

1 ـ أن هذا الزواج لا يمت للعقل بأية صلة ـ حتى وإن أدى إلى نتيجة إيجابية ـ لأن خسائره على الصعيد الأدبى أكبر بكثير من مكاسبه الملموسة ، كما أن عنصر الخيال فيه هو المسيطر على كل خطواته ولا يوجد ثم أى تصور ، حتى للمستقبل القريب جداً بعد أسابيع أو أشهر من الزواج ، فكل القرارات فيه توضع بغير معلومات دقيقة ، ولذلك فالأمر كله يبنى على مجرد وعود ساذجة بالسعادة ، وتوقع سرعة القبول من الرافضين ورضاهم ومباركتهم . . الخ ، وكلها أحلام يقظة مغرقة فى الوهم .

وكثيراً ما ينكشف الزيف والخيال بعد أيام قليلة من الزواج ، فنجد الزوج يتسائل فى تعجب كيف تغيرت زوجته كل هذا التغير ؟! وأين مثاليتها وكلماتها الأخاذة وألفاظها المهذبة ورقتها المعهودة ؟! . وكذلك تتسائل هى فى نفس الوقت أين كل هذا فى زوجها ؟ وأين شهامته ورجولته وطموحه ، وحلوله الجاهزة لكل مشكلة تعتريهما ؟!

والحقيقة أن كل واحد منهما تزوج إنساناً آخر غير الذى

تعرف عليه ، فكل منهما كان مجرد ببغاء يردد كلاماً ونظريات فى الأخلاق للآخر هو عاجز أصلاً عن تطبيقها ، لكنه كان يخدع بها شريكه ، والغريب فى الأمر أن كل طرف يصدق الآخر ويسقط عنه احتمال الكذب دون أن يدرى أنه كاذب مثله .

2 ـ أن الإقدام على هذه الخطوة لا يأتى بقرار مفاجىء ، بل تسبقه مقدمات عديدة وواضحة لكن الأهل يهملون الأمر ، ولا يلتفتون لاستقراء المعانى وفهم مدلولات هذه المقدمات والملابسات ، كما أن هذه الخطوة لا تأتى وليدة الصدفة ، بل تساهم النشأة والتربية فيها مساهمة فاعلة وأصيلة ، وهو ما يدعو إلى حتمية ألا يغيب التوجيه والإرشاد من الصغر ـ خاصة الفتاة ـ لحثها دائماً على يقظة الضمير فيها ، والتمسك بسلامة سمعتها وسمعة ذويها .

3 ـ أن البنت ذات الباع الطويل فى الكلام الدال على الوعى والنصاحة والتى نسميها ( غلباوية ) كثيراً ما تكون هى بطلة هذه التصرفات ، وكثيراً ما تقع فى عشق صاحب الكلمات المعسولة ، حتى وإن كانت تعرف ذلك عنه ، إلا أنها تميل لسماع إطرائه ، وتوهم نفسها بأنه حقيقى إلى أن ينتهى بها الأمر إلى تصديق ما يقوله بعد أن تكون قد ازدادت به تعلقاً وارتباطاً

4 ـ ينبغى ألا تطمئن الفتاة إلى أنها خارج نطاق مراقبة أسرتها أو أن الحدث البسيط سيمكن إخفاؤه طويلاً ، ذلك بعدم منح الحرية لها بلا ضوابط ، أو الركون لأى نظام نمطى أو ثابت فى الرقابة ، بل يجب أن تظل متوقعة المفاجأة فى أى وقت وأية ظروف ـ خاصة إذا كانت تتصف بالجمال أو الأنوثة المبكرة ـ كما يجب أن تتخذ لها طريقاً محدداً للذهاب والعودة من المدرسة لا تغيره .

5 ـ من الضرورى جداً متابعة الأهل لصديقات ابنتهم ومعرفة مدى تصرفاتهن وأسلوبهن فى التفكير ، فمن الثابت أن الفتاة التى هوت سلوكياً وأخلاقياً تناصب كافة العذارى الكراهية والحقد والعداء ـ وإن أجادت إخفاء ذلك ـ لشعورها الدائم بالنقص وبأنها منبوذة من ضميرها ومن المجتمع ومن أى زوج شريف ، فهى بالتالى لن يهدأ لها جفن حتى ترى الكل مثلها فى الانحطاط والسفول ، ومن ثم فهى دائماً تأخذ دور الناصحة للفتيات ، فلا تعظهن بغير تحدى القيم الأخلاقية والخروج على المألوف منها والتجرؤ عليها ، وهكذا حتى تصل تدريجياً بالفتاة الساذجة إلى الخطأ ، والمعروف أن كل فتاة فى السن الصغير إذا ما تعرضت لأى موضوع عاطفى فإنها تفضل التحدث بشأنه لصديقتها التى تساويها فى السن فهى تسمع منها وتشجعها على الاستمرار وسرد المزيد من فصول القصة كل يوم .

6 ـ أن خروج الإبن والإبنة على طاعة أبويهما هو ثمرة طبيعية لتنشئتهما على عدم الإنتماء للبيت والأسرة ، أو تقديس الأبوين ، وعدم الشكر على النعم ، بل تربيتهما وتعويدهما على سهولة التنكر للغير ونكران الجميل أولاً بأول ، وجحود فضل الكبار ، وانعدام العطف على الضعيف وعدم الشكر الفورى لكل من أسدى لهما خدمة أو نصح ، فكيف ننتظر منهما خيراً وقد طبعنا فيهما التقليل من شأن وحجم أى جميل يُسدى إلينامن قبيل (هو يعنى عمل حاجة ؟ ) أو ( يعنى جاب إيه من عنده ؟ ) . . ومإإلى ذلك من تعليقات تخرج من الأبوين بغير وعى بأبعادها على المدى الطويل .

7 ـ حين تهرب الإبنة من بيت أهلها وتتزوج ممن رفضوه ، تكون الوعود الزائفة والأوهام الجارفة قد سبقتها إلى حيث ستستقر معه فإذا ما اكتشفت الحقائق واصطدمت بالواقع واستبانت مدى خطأها فى الحساب وتقدير حجم الخسارة ، والإنخداع بمعسول الكلام ، يرفض الأب أية وساطة لإعادتها لبيته لأسباب كثيرة وحسب كل حالة ، كأن يكون راغباً فى تأديبها بتركها تتجرع كأس المرارة وتحمّل وزر فعلتها ،أو قد تكون ثورته ما زالت مشتعلة لم تهدأ بعد من لطمة تنكرها له وتخطيه وكسر أوامره وهيبته ، وبالتالى لم يحن بعد وقت العودة للتفكير المنطقى وتغليب صوت العقل ،أو قد يرى أن تسامحه

بهذه السرعة معها يعد ضوءاً أخضر لباقى أخواتها لتحذون حذوها مادام الخطأ سهلاً والرجوع أسهل ، وهناك من يرى أن قبول رجوع ابنته يعنى أنها جاءت تلقى عليه عبء المواجهة مع زوجها وتحمل تبعات التفاوض معه أو قبول المذلة وهوان تحكمات زوجها هذا فيهم وإملاء شروطه عليهم كى يصلوا إلى تخليص ابنتهم منه بالطلاق ، وهنا يشترط الأب أحياناً أن تخلص هى نفسها منه أولاً ، وكما ذهبت وحدها تعود وحدها ولا تطالبهم ـ هم بالذات ـ بدفع ثمن تنكرها لهم ، إلى آخر هذه الأسباب وهى كثيرة كما قلنا ، خاصة أن اكتشاف الإبنة لخطأها يأتى سريعاً جداً حيث لم يتهيأ الأب بعد ـ قطعاً ـ للصفح بنفس السرعة على الإطلاق ، بالرغم من تألمه لحالها ، لكن يجب أن يكون هناك حل ، وليس أى حل ، بل حل يراعى كل تحفظات الأب ويخرجه من الأزمة موفور الهيبة ، والحل هنا يكمن فى تولى طرف ثالث من الأقارب هذه المهمة بصبر وحياد كى تطمئن له الأطراف وتستبعد من مبادرته أية رغبة فى التشفى أو الاعتبارات الذاتية وفقط .

8 ـ بالرغم من أنه لا يكاد يمر يوم دون أن يأتينا من يسأل عن هذا النوع من الزواج كاحتمال يخامر عقله لحل مشكلته إن ضاقت به سبل التفاهم مع الكبار أو من فى أيديهم أوراق مشكلته إلا أن الكثيرين منهم لا يأخذون هذه الخطوة وقد يصرف الواحد

منهم نظره عنها ويكمل استعداداته ويبحث فى توفيق ومواءمة إمكاناته أو ظروفه للوصول إلى حل يرضى الطرفين ، وترجيح الحل السلمى الخالى من الصراع والمشكلات وعلى الرغم من الكم العددى الملموس لحالات الزواج عن طريق فرض الأمر الواقع على الأهل ، إلا أنها لا تصل بأى حال إلى حد الظاهرة المؤثرة فى المجتمع .

فقط مطلوب من الكبار إعادة النظر من جديد فى أسلوب تنشئة وتربية أولادهم بتوسعة حيز التفاهم والنقاش ووضع هامش أعرض للمراجعة وإبداء الرأى المعارض .

9 ـ مع أن المجتمع يئن من ظروفه الاقتصادية والاجتماعية ، فهناك من لا يتنازل أبداً عن شروطه أو عن تصوراته المغالى فيها دون أى اعتبار لما يدور حوله من تغيرات جذرية قلبت الهرم الاجتماعى رأساً على عقب ووضعت الكثيرين من الشرفاء ومن نرضى دينه وخلقه وأمانته فى مقارنة ظالمة قد تميل فيها كفة الغث والفاسد ناحية الرجحان ، وهوكيل لا يبشر على وجه الإطلاق بأى خير أو أية بركة فى زواج يقوم على هذه الأسس وحدها .

10 ـ لا أعرف هل ستكون مفاجأة للبعض أن نذكر أن هناك حالات من زواج فرض الأمر الواقع هذا لا تمت بأدنى صلة عاطفة أو حب بين الطرفين ، وأنهما يدركان جيداً أنهما غير

منسجمان مع بعضهما بالشكل الذى يجعل هذا الزواج ضروريا

ولو أننا تفهمنا ذلك بوعى كاف وحس دقيق ورفعنا عنهما أى حرج أو أية ضغوط معنوية وأعطيناهما فرصة ليفكرا تفكيراً حراً مجرداً قبل أن يتخذا قرارهما لجاء هذا القرار - بمنتهى الوعى والصدق - بترك الموضوع برمته ، وليس فى الأمر أية غرابة ، فالمسألة هنا بعيدة تماماً عن موضوع الحب والعواطف ، بل هى نوع من التمرد على المجتمع لظروف تخص كل واحد منهما بين أسرته ، وهو يريد أن يوجه عدوانه ضد الكبار ليثبت لهم ذاته ، أو ليقول لهم أننى كبرت الآن وأصبح لى رأى وقرار وإرادة ، وهذه الحالات إذا تم فيها عقد الزواج يأتى الطلاق بعدها تلقائياً وسريعاً دون أن ينتظرا من أحد قدحاً ولا مدحاً شأنهما شأن من قام بخطف طائرة وأنزلها بركابها فى أية دولة ثم أطلق سراح الجميع وقام بتسليم نفسه بغير أن ينتظر من يسأله عن بغيته أو ما هى شروطه لإطلاق سراحهم ، فقط هو أراد أن يلفت نظر الجميع إلى أنه موجود وله قضية تحتاج النظر فيها ، فعقد الزواج فى هذه الحالة يكون هو الغاية المقصودة بذاتها وليس الوسيلة المطلوبة لتحريك مواقف الآخرين ، وبمجرد الوصول لهذه الغاية أدرك الإثنان معاً أن الاستمرار لا معنى له ، والغريب أن هناك من تعجبه اللعبة ويستمر على هذا الحال - بغير أدنى اقتناع - حتى يمل كل منهما النظر فى وجه صاحبه ولا يعد يرى فيه أية ذرة من

الذرات تستحق أن يبقى على هذا الوضع السخيف الذى فقد كل معانيه ، وأساء إليهما ، وأكد بكل يقين أنهما صغار ، بل أصغر مما كانا يتصوران .

11 ـ وهناك حالة زواج لأجل فرض الأمر الواقع ولكن ليس على الكبار ، بل إن طرفاً منهما يفرض على الطرف الآخر هذا الأمر الواقع بعد أن رآه أخذ يميل ناحية التراجع والامتثال لرأى الكبار أو العقلاء وقبول الزواج من آخر أكثر مناسبة له ، فتتحرك نوازع الأنانية والحقد فى نفس هذا ويأخذ فى استمالة الآخر وتذكيره بوعده له وعهده معه ، وهى فى الواقع كلمة حق أريد بها باطل فى هذا الموقف ، فهو يريد أن يستحوذ عليه أولاً ويفسد له مشروع زواجه ويكشف أنه بلا مبدأ ، ثم بعد ذلك يلقيه من يده ، خاصة أنه لن ينجح فى إخفاء شعوره العدائى تجاهه كثيراً وسيقع التصادم بينهما بغير حاجة لتدخل الكبار ولكن بعد فوات الأوان .

12 ـ وكثيراً ما يتحول الزواج بنفس الكيفية لفرض وضع الشاب كزوج وليس خاطب فقط بما يعينه عليها فيطالبها بالمزيد من التنازلات بدعوى أن كلمة ( زوج ) تعطيه الحق فيما هو أكثر دائماً وهنا نحتاج لتحذير الفتاة ـ إن كانت حسنة النية ـ كى لا تسرع فى تصديق فتاها حين يدعى أنه سيجعل من إجراء العقد مجرد خطوة للضغط على أهلها ، وأنه يملك من الأمانة مع نفسه

ما يجعله يحافظ على بقاء العقد مجرد حبر على ورق حتى يصلا إلى استرضاء الأهل ، لأنه حتى وإن كان صادقاً فى نيته فى البداية ـ مع عجزه عن الوفاء بالتزاماته ووعوده الخيالية ومع استمرار جمود المواقف سيسلك الطريق الأسهل بالضغط عليها هى بدلاً من الضغط على الكبار ويتحايل عليها هى للاستجابة لرغباته غير البريئة مقابل المزيد من الوعود الجوفاء ، ولعلى لا أفشى سراً إن قلت أن أكثر من نصف هذه الحالات زفت فيها الزوجة نفسها لزوجها هذا قبل حتى أن يعرف أهلها أنها عقدت قرانها وقبل اتخاذها أية خطوة لتحريك موقفهم منهما .

13 ـ هناك أمر محير لايفهم أحد معه السر وراء استهانة البعض بعقد الزواج ومساواته بكلمة خطبة أو ( خطوبة ) فيتكرر كثيراً أن يأتى أهل الزوجين بعد عقد زواجهما طالبين منا طلباً فريداً هو إلغاء العقد أو تمزيق الأوراق واعتبار الوضع منتهياً والموضوع كأن لم يكن ، فإذا ما حضر الزوج والزوجة لاستلام العقد بعد توثيقه لا يجدا له أثراً ، وهكذا يتبخر الزواج بحسب تصور الأهل ، ناسين أو متجاهلين أن الزواج قائم شرعاً رضينا أم أبينا .

وحين يرى المرء أمامه مجموعة هائلة من الرجال من ذوى الشوارب الضخمة والطواقى والعمائم والطرابيش واللبد

والكوفيات وكل أنواع وأصناف الأردية كأنهم قادمون لتوهم من عملية سطو على مخزن ملابس خاص بإحدى الفرق المسرحية ، ثم نجدهم مجمعين على شيء واحد فقط هو ضرورة إلغاء عقد الزواج عن طريق شطبه أو تمزيق الأوراق قبل التصديق عليها من المحكمة و . . . و . . . إلى آخر هذه الجهالات ، فكم يحتاج من وقت وجهد لإقناع كل هذه القبيلة باستحالة تنفيذ أى شيء من مطالبهم الغريبة هذه ؟

14 ـ فى بعض الأحيان حين نحاول أن نستحث الشاب على التروى فى هذه الخطوة ، نسأله عن موقفه لوجاءت أخته هو نفسه إليهم لتفرض عليهم شاباً يرفضونه فتتزوجه بنفس الأسلوب ، فجاءت الإجابات كالآتى :

ـ بعضهم ـ بل أغلبهم ـ ليست له أخوات ، وبالتالى فهو لا يستطيع أن يضع إجابة محددة .

ـ بعض آخر رفض بشدة ذلك من أخته ، لكنه يبرر لنفسه ذلك بأن نيته ناحية هذه الفتاة بالذات طيبة وهو يعرف نفسه جيداً ، أما أخته فلا يعرف نية الآخر تجاهها .

ـ أما البعض الباقى فقد أراح الواحد منهم نفسه بإيهامنا أنه لو كان فى هذا الموقف فلن يفكر أساساً بنفس أسلوب تفكير أهل فتاته ، وأنه سيراعى إمكانات الشاب المتقدم لهم ما دام شاريها .

هذه الآراء ذات مدلولات خطيرة ولا يجب أن تمر مرور الكرام ، فهى آراء جيل أفسده التدليل الزائد عن الحد حتى لم يعد يرى غير ذاته وآرائه وأنانيته دون الآخرين جميعاً ، ذلك الجيل الذى يستميت جيل الآباء فى تذليل كل العقبات أمامه ، وكل أب أو أم عانى الحرمان فى شبابه ، يضع دائماً نفسه وقدراته فى خدمة تلبية أغراض أولاده بدعوى عدم إشعارهم بطعم الحرمان الذى عاناه فى صغره ، ولكن هاهى النتيجة . . شباب لا يريد أن يتحمل أية مسئولية أو يحرم من أى شيء ، ولا قيمة لدية ولا وزن للكبار .

15 ـ ونفس إبنة هذا الجيل المدلل هى التى تضرب بنصائح أهلها عرض الحائط وهى تقول : أنا التى سأتزوجه وليس هم ، هكذا تضع الأمور كلها موضع التحدى دون أن تعرف أن كل منهما يتزوج أهل الآخر كذلك ، فإن كانت هى سعيدة فى زواجها ، عاشت هذه السعادة وحدها ، وأما أهلها فإنهم آخر من ستفكر فيه ، أما إن كانت شقية تعسة فى هذا الزواج فإنهم أول من ستفكر فيهم وتلجأ إليهم وتلوذ بحمايتهم لها ، وسيشملهم شقاءها ، وسيذوقون كل يوم مرارة الصراعات التى أصبحوا فى قلبها ، فكيف نقنع الأهل الذين أرغمتهم ابنتهم المعلمة تعليماً عالياً على الزواج من حرفى عانى من النقص تجاهها فأذاقها بعد الزواج ألوان الضرب والسب والإهانة وعادت

فى النهاية لبيت أهلها تحمل طفلها ليتحملوا هم بتربيته وليدفعوا نيابة عنها ضريبة تصرفاتها الطائشة وخروجها على طاعتهم ، وكسر هيبتهم ، وكيف ينسون سريعاً تحديها بل تحييدها التام لهم حين قالت بالأمس القريب فقط ( هو أنا اللى حاتجوزه والا همه )

16 ـ أشرنا فى فصل سابق إلى أن التطرف فى الحب يتبعه تطرف فى الكراهية والبغض والعداء ، ولعل هذه أيضاً مفاجئة للبعض ، خاصة ممن لم يخوضوا هذه التجربة ، لكنها الحقيقة التى تصدم أحياناً من يتابع هذه القصص وتصيبه الدهشة وهو يتسائل كيف تحول الأمر إلى نقيضه ؟! وأين باقى فصول هذا الحب الذى ملأوا به الدنيا ضجيجاً ؟! تلك هى إحدى عجائب هذا الزواج لا شك أن النتيجة الطبيعية لزواج قائم على غير أساس موضوعى هى الفشل ، لكن أن يصل البغض والعداء إلى هذا المدى فهذا هو ما يستحق النظر ، ويبدو أن هناك شخصية معينة تكون هى بطلة هذا النوع من الزواج ، وهى الشخصية الثورية فى أفكارها ومسلكها ، وهى دائمة التسرع والشطط ، تثور على أية أوضاع لا توافق هواها ، فإذا لم تجد ما تثور من أجله ثارت على نفسها ، وإذا صادف صاحب هذه الشخصية أى نجاح فى أمر من أمور حياته فمن المحتمل جداً أنه نجاح جاء عفوياً لافضل له فيه ، أوساهمت فيه ظروف خارجية لادخل لإرادته فيها ، فإذا كان طرفا الزواج من نفس الشخصية فالكفتان

متساويتان ، لكن المشكلة تطفو حين يكون أحدهما ضحية لشخصية الآخر .

17 ـ أما أصحاب الشخصية الانتقامية فالمريض بها هو ذلك الذى يسعى لتدمير الآخر حين لم يحصل عليه أو بمعنى أدق لم يستطع المحافظة عليه ، فنجده يستغل نقاط ضعفه ليحاربه بها أو يمضى فى إفشاء أسراره التى لم يكن يتسنى له معرفتها مالم يكن الآخر قد وثق به واأتمنه على هذه الخصوصيات ، إنها نفس حاقدة مفتقدة للمروءة والأمانة ،وكثيراً ما نسمع الأعاجيب من أصحاب هذه الشخصية لكن من أطرف ما سمعت من هذه التصرفات أن أحد هؤلاء الأزواج الصغار لم يجد مادة الوقود التى تغذى انتقامه من زوجته الشابة بعد أن ارعوت وأفاقت من وهمها ولا ذت بأهلها كى يخلصوها منه فاستأجر شرذمة من أحط النساء وأرسلهم ليتصدوا لأهلها ويشهرّوا بهم وبابنتهم أمام عمارتهم بين الجيران قبل أن تصل الشرطة .

18 ـ يندرج ضمن الشخصيات التى تقدم على هذا الزواج الجبرى نوع آخر من الشخصيات يجدر بنا أن نسميها الشخصية الإجرامية التى لا ترعى ديناً ولا خلقاً ، شخصية مطاطية تتغير وتتلون مع كل الظروف ، بلا مبدأ ولا رصيد لها من قيم الحياة .

بكل أسف حين يرى المرء هذه الشخوص أمامه يتألم كثيراً

لما وصل إليه حال الأجيال الصاعدة التى ستشكل بنيان المجتمع بعد سنوات معدودة وقد يختلط عليك الأمر فلا تعرف هل هو إجرام الصغار أم إجرام الكبار وإلا فماذا نقول عن شابة صغيرة فى عمر الزهور تؤكد هى والشاب الذى معها أن والدها متوفى ، وذلك حين سألناها عنه ، ودون أن يهتز لها جفن ، وبعد إتمام الزواج يتضح أن والدها على قيد الحياة بعد أن حضر إلينا ملتاثاً بعدها بأيام يسألنا متفسراً عن صحة الموضوع أو صحة الخبر .

وماذا نقول عن الشاب الذى طمأن الشابة إلى أن لديه شقة الزوجية جاهزة ، فتركت دراستها وتزوجته ، وأقامت معه بها ثم تبين بعد فوات الأوان أنها شقة أخيه وأن مفتاحها مصطنع ، وأن ما بها من منقولات تخص زوجة أخيه وقد حضروا من الخارج ليطردوه وزوجته من الشقة بينما كانت حاملاً فى شهرها الأخير ، لتكتشف كل يوم أن فارس أحلامها هذا كذاب كذلك فى كل أمور حياته ، وماذا عن الأم التى شهدت زوراً وبهتاناً على الحق بأن ابنها محرم شرعاً بسبب الرضاع على زوجته لتفرق بينهما ويطلقها بعد أن أجهضتها فى أول شهور الحمل ، ثم يتضح بعد ذلك كذب الأم تماماً .

وماذا نقول عن الشاب الوجيه الشريف الذى أحب ابنة رجل بسيط يعمل أجيراً لدى عائلته ولما تقدم له يطلبها منه رفض الأب

بسبب الفارق وخوفه من بطش هذه العائلة فلما تزوجها ضد إرادة أهله لم تكتف العائلة بطرد الرجل من عمله لديها ، بل اتهموه بسرقة مزعومة أدخلته السجن ولوثت سمعته وطمست تاريخه كله معهم بدعوى تحريضه ابنته للإيقاع بابنهم فماذا كانوا فاعلين فيما لو كان ابنه هو الذى تزوج ابنتهم على عكس ما وقع ؟ .

وماذا يا سادة عن أم أجهضت ابنتها فى شهرها السابع من جنين كان طفلة شبه مكتملة التكوين ، برغم علمها بأن الشاب قد عقد زواجه رسمياً على ابنتها منذ الشهر الثانى من الحمل لمجرد أن ابنتها صارحتها بأنها لم تعد تحبه ، وتحب شاباً آخر ، كما أنها غير راغبة فى إضاعة العام الدراسى واقتراب موعد الامتحان و . . . و . . . ثم يقبل الشاب الهمام أن يطلقها آنسة بتولاً لم يدخل ولم يختل بها ، كى يتح لنفسه هو الآخر زواجاً من أسرة أفضل لا تعرف عنه هذا الماضى .

هكذا انسحب الإثنان من مسرح الجريمة بأمان .

أية شخوص هذه ؟! وأية ضمائر تلك ؟!! خطأ وخطيئة وقتل نفس ، وخيانة زوجية وكذب وإفك وبهتان ، ثم تدليس وغش لزوج جديد يدفع هو ثمن هذا الانحطاط .

هل نستكثر الآن على هذه النوعية أن تكون هى بطلة هذا الزواج الجبرى ؟!

إن التصرفات غير السوية لا تصدر بالتبعية إلا من شخصيات غير سوية ، فالطيش ليس هو الصفة المطلقة لكل الشباب من حيث إن خبرته فى الحياة ضحلة ، ولكن هناك أناساً بأعينهم يظلون حمقى فى تصرفاتهم لما بعد انقضاء فترات مراهقتهم وشبابهم ، وهؤلاء هم الذين تكون فترة شبابهم مفعمة بالنزق والسلوكيات الخرقاء .

19ـ غالباً ما تأتى تصرفات الزوجين فى هذا الزواج على أشكال مختلفة تماماً عن الموضوع الأصلى حتى يعجز من يسمع قصصهم عن معرفة أية دوافع وراء هذه التصرفات ، إلا أنها فى الواقع تكون بسبب القلق والخوف من المواجهة مع الكبار فيتحول الموضوع إلى شكل آخر كالغيرة الشديدة أو تحكمات من الزوج بلا داع يستحق ، أو افتعال الزوجة ذرائع للخصام أو القطعية ، حتى أنهما ما إن يلتقيا حتى يتخاصما أو يثورا فى وجه بعضهما ، فيطالبها الزوج ـ مثلاً ـ بعدم الخروج من بيت أهلها إلا لمقابلته فقط ، فإذا تصادف أن قابلها فى الطريق ، استشاط غضباً ، وربما ألقى عليها يمين الطلاق .

ولا تجد تفسيراً لكل ذلك سوى القلق المصاحب للخوف من مواجهة الأهل لتفجير هذا الخبر القنبلة .

20ـ أخيراً : نحن نعرف أن الصغار أقل حكمة من الكبار ، ومهما تكن الأحوال ، فلا يمكن اختزال سنوات الخبرة والتجربة التى تحصلت لدى الأهل بالعرق والدموع ، ودائماً يود الأهل أن تبدأ خبرة أولادهم من حيث انتهت خبرتهم هم ، لا من حيث بدأت ، فلا يحتاج الأبناء للمرور بنفس الخطوات ، ويضيع عمرهم فى تكرار نفس الأخطاء ، وإعادة نفس القصة بشكل آخر ، كأن الدنيا لا تتطور ، والزمن لا يتغير لكن لا سبيل إلى الاعتراف بأن أحداً لا يستفيد كثيراً من خبرة الآخر ، وأن طبيعة الأشياء أن الإنسان ابن حاجته ، من هنا يجب على الأهل ألا يتجاوزوا خط الرجعة فى حربهم للحيلولة بين الشاب والشابة لأن احتمال إتمام الزواج ممكن جداً ـ ضد كل التصورات ـ فلا داع لخلق عداء يستمر طول العمر ، مادمنا قد نضطر للاعتراف يوماً بهذا الزواج ، وبعلاقة المصاهرة .

**والله تبارك وتعالى المستعان**



# فهرس الكتاب